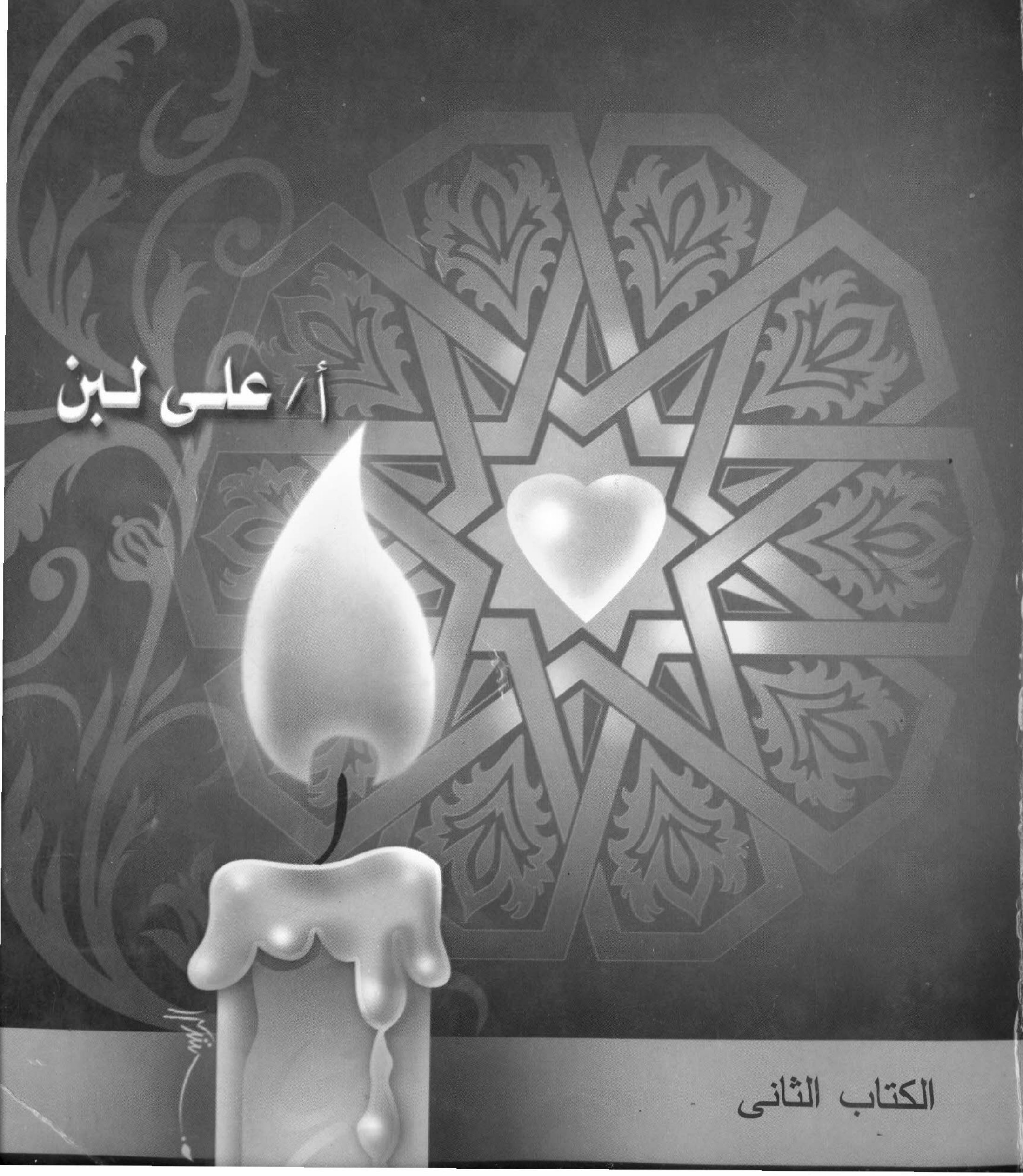
من مبادئ الإسلام



أ / على لبن

الكتاب الثانى

من
مبادئ الإسلام

أ. علـى لـبن

موجه عام الفلسفة والتربية

بالأزهر سابقا

(الكتاب الثاني)

الطبعة الأولى للناشر

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع: ٩٦٦٨/ ٢٠٠٣

الترقيم الدولى: .I.S.B.N

977 - 265 - 452 - 0

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وبعد :

فإن التربية الإسلامية هى التربية التى ترعرعت فى ظلالها خير أمة أخرجت للناس، وقد غُيِّبت هذه التربية فى القرون الأخيرة عن الساحة فى البلاد العربية والإسلامية لأسباب عديدة منها . مكر أعداء الإسلام وجهل أبناء هذا الدين الحنيف وانبهارهم بالفكر التربوى الغربى، ومن فضل الله وتوفيقه أن بدأ بعض العلماء فى البلاد العربية والإسلامية يدركون حجم المؤامرة فشرعوا فى عقد الندوات والمؤتمرات وتأليف الكتب النافعة بهدف تأصيل الفكر التربوى فى بلادنا وإبعاده عن ذيل التبعية للفكر الغازى. وكل كتاب هادف ينبثق الفكر الذى يحتويه عن المبادئ الإسلامية هو لبنة جديدة تضاف إلى البنيان التربوى الإسلامى المعاصر.

يهدف هذا الكتاب إلى التعريف بمفهوم التربية الإسلامية وبخصائصها وبأهم الطرق التربوية المستمدة من الكتاب والسنة. كما يهدف إلى التعريف بأهم الإجراءات التدريسية التى ينبغى اتباعها عند تدريس القرآن الكريم والحديث الشريف والسيرة النبوية العطرة والعقيدة والفقه، ولا يقف الأمر عند هذه الأهداف المعرفية، إذ أنّ الكتاب يهدف أيضًا إلى تنمية الاتجاهات السليمة نحو التربية الإسلامية ليزداد الإنسان المؤمن إيمانًا بأفضلية هذه التربية على سائر النظريات التربوية الوضعية، وهناك أيضا أهداف أدائية يهدف الكتاب إلى إكسابها للقارئ الكريم منها : تنمية القدرة على اشتقاق أهداف محددة لدرس معين، وتنمية مهارات طرح الأسئلة والإصغاء إلى الإجابات عنها، وتنمية القدرة على وضع خطة تدريسية لدرس معين فى أى من فروع العلوم الشرعية، ومهارات أخرى غيرها. وتحقيقًا لهذه الأهداف فقد حرصت على استقاء المفاهيم والمبادئ التربوية من مصادرها الأولية ويأتى فى مقدمتها الكتاب والسنة، وتم اشتقاق بعض الأهداف الخاصة لكل فرع من فروع العلوم الشرعية من الأهداف العامة كى تكون مثالا يسترشد به عند صياغة أهداف أخرى. كما ذيل كل فصل بأسئلة للتقويم وبأنشطة

تربوية تحث القارئ على اكتساب خبرات أخرى عن طريق التعلم الذاتى . وإيمانًا منَّا برد الفضل إلى أهله فقد أشير فى الحواشى التى خصص لها الجزء السفلى من صفحات الكتاب إلى المصادر التى استقيت منها المعلومات وذلك بذكر اسم المؤلف واسم الكتاب ورقم الصفحة . وأثبتت فى نهاية كل فصل قائمة بالمصادر رتبت ترتيبًا هجائيًا حسب أسماء المؤلفين .

والكتاب يشتمل على سبعة فصول وهى :

- **الفصل الأول** : **القرآن الكريم** : (تفسير الآيات من سورة الأعلى إلى سورة الضحى) .
- **الفصل الثانى** : **الحديث الشريف** : (شرح الأحاديث « من السادس إلى العاشر » من الأربعين النووية) .
- **الفصل الثالث** : **العقيدة** : من أركان الإيمان (الإيمان بالملائكة – الإيمان بالكتب) .
- **الفصل الرابع** : **السيرة** : مواقف من سيرة الرسول ﷺ .
- **الفصل الخامس** : **الصحابة** : صور من حياة الصحابة رضوان الله عليهم .
- **الفصل السادس** : **الهدف العام** : أن يكون لديه الرغبة لتغيير نفسه إلى الأحسن والمسارعة إلى ذلك .
- **الفصل السابع** : **الهدف العام** : أن يرتبط فى معرفته للإسلام بمصدريه القرآن والسنة وقدوته في ذلك رسول الله ﷺ من خلال أحد يثق فيه ويتلقى منه .

أدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأرجو أن يكون كتابنا هذا مفيدًا لكل مربٍّ مسلم ولطلبة العلم فى الكليات والمعاهد التربوية . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفصل الأول

مع القرآن الكريم

سورة الأعلى

فى رواية للإمام أحمد عن الإمام على - كرم الله وجهه - أن رسول الله ﷺ كان يحب هذه السورة: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ .. وفى صحيح مسلم أنه كان يقرأ فى العيدين ويوم الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى، و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾. وربما اجتمعا فى يوم واحد فقرأهما..

وحق لرسول الله أن يحب هذه السورة وهى تحيل له الكون كله معبداً تتجاوب أرجاؤه بتسبيح ربه الأعلى، ومعرضًا يحفل بموحيات التسبيح والتحميد: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾.

وحق له أن يحبها، وهى تحمل له من البشريات أمرًا عظيمًا. وربه يقول له، وهو يكلفه التبليغ والتذكير: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ (٦) إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ (٨) فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾.. وفيها يتكفل له ربه بحفظ قلبه لهذا القرآن.. ويعده أن ييسره لليسرى فى كل أموره وأمور هذه الدعوة. وهو أمر عظيم جداً.

وحق له يحبها، وهى تتضمن الثابت من قواعد التصور الإيمانى: من توحيد الرب الخالق وإثبات الوحى الإلهى، وتقرير الجزاء فى الآخرة. وهى مقومات العقيدة الأولى. ثم تصل هذه العقيدة بأصولها البعيدة، وجذورها الضاربة فى شعاب الزمان: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.. فوق ما تصوره من طبيعة هذه العقيدة، وطبيعة الرسول الذى يبلغها والأمة التى تحملها.. طبيعة اليسر والسماحة.

الآيات من (١ - ١٣)

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ (٦) إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ (٨) فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ﴾.

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١- أن يذكر الدارس مكانة السورة عند رسول الله ﷺ.

٢- أن يتدبر فى عظيم خلق الله ويسبحه ويمجده.

٣- أن يذكر الدارس ما تضمنته السورة من بشريات لرسول الله ﷺ وأمته من بعده.

٤- أن يذكر الدارس مهمة الداعية إلى الله كما أشارت إليها السورة.

٥- أن يحدد الدارس من ينتفع بالذكرى ومن لا ينتفع بها.

والتسبيح هو التمجيد والتنزيه واستحضار معانى الصفات الحسنى لله، والحياة بين إشعاعاتها الوجدانية بالقلب والشعور. وليست هى مجرد ترديد لفظ: سبحان الله!.. و﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾.. والرب: المربى والراعى.. وصفة الأعلى تطلق التطلع إلى الآفاق التى لا تتناهى؛ وتطلق الروح تسبح وتسبح إلى غير مدى.

والخطاب هنا لرسول الله ابتداء. وهذا الأمر صادر إليه من ربه. بهذه الصيغة: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾.. وقد كان رسول الله يقرأ هذا الأمر، ثم يعقب عليه بالاستجابة المباشرة، قبل أن يمضى فى آيات السورة، يقول: سبحان ربى الأعلى..

﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾..

الذى خلق كل شىء فسواه، فأكمل صنعته، وبلغ به غاية الكمال الذى يناسبه.. والذى قدر لكل مخلوق وظيفته وغايته فهداه إلى ما خلقه لأجله، وألهمه غاية وجوده؛ وقدر له ما يصلحه مدة بقائه، وهداه إليه أيضاً.. وهذه الحقيقة الكبرى ماثلة فى كل شىء فى هذا الوجود؛ يشهد بها كل شىء فى رحاب الوجود.

﴿ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴾.

والمرعى كل نبات. وما من نبات إلا وهو صالح لخلق من خلق الله.. والمرعى يخرج فى أول أمره خضراً، ثم يذوى فإذا هو غثاء، أميل إلى السواد فهو أحوى.. والإشارة إلى حياة النبات هنا توحى من طرف خفى، بأن كل نبت إلى حصاد وأن كل حى إلى نهاية. وهى اللمسة التى تتفق مع الحديث عن الحياة الدنيا والحياة الأخرى.

بعدئذ يجئ بتلك البشرى العظيمة لرسول الله وأمته من ورائه:

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ (٦) إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ (٨) فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾..

وتبدأ البشرى برفع عناء الحفظ لهذا القرآن والكد فى إمساكه عن عاتق الرسول: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ﴾.. فعليه القراءة يتلقاها عن ربه، وربه هو المتكفل بعد ذلك بقلبه، فلا ينسى ما يقرئه ربه ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾.. فهو الاحتراس الذى يقرر طلاقة المشيئة الإلهية، بعد الوعد الصادق بأنه لا ينسى. ليظل الأمر فى ظل إطار المشيئة الكبرى.. ويظل القلب معلقاً بمشيئة الله حيا بهذا التعلق أبداً.

﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾.. وكأن هذا تعليل لما مر فى هذا المقطع من الإقرار والحفظ والاستثناء.. فكلها ترجع إلى حكمة يعلمها من يعلم الجهر وما يخفى.

والبشرى الثانية الشاملة: ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾..

بشرى لشخص الرسول وبشرى لأمته من ورائه. وتقرير لطبيعة هذا الدين، وحقيقة هذه الدعوة، ودورها فى حياة البشر، وموضعها فى نظام الوجود.. إن الذى ييسره الله لليسرى ليمضى فى حياته كلها ميسراً.. اليسر فى يده. واليسر فى لسانه. واليسر فى خطوه. واليسر فى عمله. واليسر فى تصوره. واليسر فى تفكيره. واليسر فى أخذه للأمور. واليسر فى علاجه للأمور. واليسر مع نفسه واليسر مع غيره.

وهكذا كان رسول الله فى كل أمره.. ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما.. وأحاديثه التى تحض على اليسر والسماحة والرفق فى تناول الأمور – وفى أولها أمر العقيدة وتكاليفها – كثيرة جداً يصعب تقصيها. من هذا قوله: «إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه» [أخرجه البخارى].. «يسروا ولا تعسروا» [أخرجه الشيخان].

وفى التعامل: «رحم الله رجلاً سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى» [أخرجه البخارى]، «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» [أخرجه الشيخان].

وسيرة رسول الله كلها صفحات من السماحة واليسر والهوادة واللين والتوفيق إلى اليسر فى تناوله الأمور جميعاً..

﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ .. فذكر حيثما وجدت فرصة للتذكير، ومنفذاً للقلوب، ووسيلة للبلاغ.

ذكر ﴿ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ .. والذكرى تنفع دائمًا، ولن تعدم من ينتفع بها كثيراً كان أو قليلاً. ولن يخلو جيل ولن تخلو أرض ممن يستمع وينتفع، مهما فسد الناس وقست القلوب وران عليها الحجاب..

فإذا نهض بهذا العبء فقد أدى ما عليه، والناس بعد ذلك وشأنهم؛ تختلف مسالكهم وتختلف مصائرهم، ويفعل الله بهم ما يشاء وفق ما يستجيبون لهذه الذكرى: ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ ..

فذكر.. وسينتفع بالذكرى ﴿ مَن يَخْشَىٰ ﴾ .. ذلك الذى يستشعر قلبه التقوى، فيخشى غضب الله وعذابه.. فإذا ذُكر ذكر، وإذا بُصر أبصر، وإذا وُعظ اعتبر.

﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴾ .. يتجنب الذكرى، فلا يسمع لها ولا يفيد منها. وهو إذن ﴿ الْأَشْقَى ﴾ .. الأشقى الذى تمثل فيه غاية الشقوة ومنتهاها. الأشقى فى الدنيا بروحه الخاوية الميتة الكثيفة الصفيقة.. والأشقى فى الآخرة بعذابها الذى لا يعرف له مدى.

﴿ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ ..

والنار الكبرى هى نار جهنم. الكبرى بشدتها، والكبرى بمدتها، والكبرى بضخامتها.. حيث يمتد بقاؤه فيها ويطول. فلا هو يموت فيجد طعم الراحة؛ ولا هو يحيا فى أمن وراحة، إنما هو العذاب الخالد.

التقويم

١– اذكر مكانة السورة عند رسول الله ﷺ.

٢– هل لك ورد تدبر فى عظيم خلق الله؟

٣– اذكر ما تضمنته السورة من بشريات لرسول الله ﷺ وأمته من بعده.

٤– اذكر مهمة الداعية إلى الله كما أشارت إليها السورة.

٥– حدد من ينتفع بالذكرى ومن لا ينتفع بها.

الآيات من (١٤ – ١٩)

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧) إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾.

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١– أن يوضح الدارس طريق الفلاح والنجاة كما رسمته الآيات.

٢– أن يؤثر الدارس ما يبقى على ما يفنى.

٣– أن يبين الدارس وحدة العقيدة على مر الرسالات.

وفى الصفحة المقابلة نجد النجاة و الفلاح مع الطهر والتذكر: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾ ..

والتزكى: التطهر من كل رجس ودنس، والله – سبحانه – يقرر أن هذا الذى تطهر وذكر اسم ربه فاستحضر فى قلبه جلاله: ﴿ فَصَلَّىٰ ﴾ .. هذا الذى تطهر وذكر وصلى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾ يقينًا. أفلح من دنياه، فعاش موصولاً، حى القلب، شاعراً بحلاوة الذكر وإيناسه. وأفلح فى أخراه، فنجا من النار الكبرى، وفاز بالنعيم والرضا.. فأين عاقبة من عاقبة؟ وأين مصير من مصير؟.

وفى ظل مشهد النار الكبرى للأشقى. والنجاة والفلاح لمن تزكى، يعود بالمخاطبين إلى علة شقائهم، ومنشأ غفلتهم:

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ ..

إن إيثار الحياة الدنيا هو أساس كل بلوى. فعن هذا الإيثار ينشأ الإعراض عن الذكرى؛ لأنها تقتضيهم أن يحسبوا حساب الآخرة ويؤثروها. وهم يريدون الدنيا ويؤثرونها.. ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ .. خير فى نوعها، وأبقى فى أمدها.. وفى ظل هذه الحقيقة يبدو إيثار الدنيا على الآخرة حماقة وسوء تقدير. لا يقدم عليهما عاقل بصير.

وفى الختام تجئ الإشارة إلى قدم هذه الدعوة، وعراقة منبتها، وامتداد جذورها فى شعاب الزمن، وتوحد أصولها من وراء الزمان والمكان: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨)

﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ .. هذا الذى ورد فى هذه السورة وهو يتضمن أصول العقيدة الكبرى.. هو الذى فى الصحف الأولى. صحف إبراهيم وموسى.. إنه حق واحد، يرجع إلى أصل واحد.

التقويم

١– وضح طريق الفلاح والنجاة كما رسمته الآيات.

٢– هل تؤثر ما يبقى على ما يفنى؟ وضح بمواقف عملية مررت بها.

٣– بيّن وحدة العقيدة على مر الرسالات.

سورة الغاشية

هذه السورة واحدة من الإيقاعات العميقة الهادئة، الباعثة إلى التأمل والتدبر، وإلى الرجاء والتطلع، وإلى المخافة والتوجس، وإلى عمل الحساب ليوم الحساب!

الآيات من (١-١٦)

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ (٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾.

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١– أن يوضح الدارس مشاهد يوم الغاشية وما يحدث فيه.

٢– أن يبين الدارس مصائر الناس يوم القيامة ومشاهد من جزائهم.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ .. بهذا المقطع تبدأ السورة التى تريد لترد القلوب إلى الله، ولتذكرهم بآياته فى الوجود، وحسابه فى الآخرة وجزائه الأكيد. وبهذا الاستفهام الموحى بالعظمة الدالة على التقدير؛ الذى يشير فى الوقت ذاته إلى أن الآخرة مما سبق به التقرير والتذكير. وتسمى القيامة هذا الاسم الجديد: ﴿الْغَاشِيَةِ﴾ .. أى الداهية التى تغشى الناس وتغمرهم بأهوالها.

وهذا الخطاب: ﴿هَلْ أَتَاكَ..﴾ كان رسول الله يحس وقع توجيهه إلى شخصه، حيثما سمع هذه السورة، وكأنما يتلقاه أول أمر مباشرة من ربه.. والخطاب – مع ذلك – عام لكل من يسمع هذا القرآن. فحديث الغاشية هو حديث هذا القرآن المتكرر. يذكر به وينذر ويبشر ويستجيش به فى الضمائر الحساسية والخشية والتقوى والتوجس؛ كما يثير به الرجاء والارتقاب والتطلع. ومن ثم يستحيى هذه الضمائر فلا تموت ولا تغفل.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ .. ثم يعرض شيئًا من حديث الغاشية:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾ . .

إنه يعجل بمشهد العذاب قبل مشهد النعيم . . فهناك : يومئذ وجوه خاشعة ذليلة متعبة مرهقة، عملت ونصبت فلم تحمد العمل ولم ترض العاقبة، ولم تجد إلا الوبال والخسارة، فزادت مضضا وإرهاقًا وتعبًا، فهى : ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ . . عملت لغير الله، ونصبت فى غير سبيله . . ثم وجدت عاقبة العمل والكد . وجدته فى الدنيا شقوة لغير زاد . ووجدته فى الآخرة سوادًا يؤدى إلى العذاب . وهى تواجه النهاية مواجهة الذليل المرهق المتعوس الخائب الرجاء!

ومع هذا الذل والرهق والعذاب والألم : ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ وتذوقها وتعانيها . . ﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴾ . . حارة بالغة الحرارة . . ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ . . والضريع قبل : شجر من نار فى جهنم . . وقيل : نوع من الشوك . . ترعاه الإبل وهو أخضر . . فإذا جنى صار اسمه «الضريع» ولم تستطع الإبل مذاقه فهو عندئذ سام .

وعلى الجانب الآخر : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾ . .

فهنا وجوه يبدو فيها النعيم . ويفيض منها الرضا . . وتستمتع بهذا الشعور الروحى الرفيع . شعور بالرضا عن عملها حين ترى رضا الله عنها . وليس أروح للقلب من أن يطمئن إلى الخير ويرضى عاقبته، ثم يراها ممثلة فى رضا الله الكريم . وفى النعيم . ومن ثم يقدم القرآن هذا اللون من السعادة على ما فى الجنة من رخاء ومتاع .

ثم يصف الجنة ومناعمها المتاحة لهؤلاء السعداء : ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ . . عالية فى ذاتها رفيعة مجيدة . . ثم هى عالية الدرجات . وعالية المقامات .

﴿ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾ . . ويطلق هذا التعبير جوًا من الهدوء والسكون . . والتنزه والارتفاع عن كل كلمة لاغية، لا خير فيها ولا عافية . . وهذه وحدها نعيم . . وتوحى هذه اللمسة بأن حياة المؤمنين فى الأرض وهم ينأون عن الجدل واللغو، هى طرف من حياة الجنة، يتهيأون بها لذلك النعيم الكريم .

ثم تجئ المناعم التى تشبع الحس والحواس : ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ . . والعين الجارية : الينبوع المدفق . وهو يجمع إلى الرى الجمال، جمال الحركة والتدفق والجريان .

﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ . . والارتفاع يوحى بالنظافة كما يوحى بالطهارة . . ﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ . . مصفوفة مهيأة للشراب لا تحتاج إلى طلب إعداد! ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾ . . النمارق : الوسائد والحشايا للاتكاء فى ارتياح! ﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ . . والزرابى : البسط ذات الخمل « السجاجيد » مبثوثة هنا وهناك للزينة وللراحة سواء .

وكلها مناعم مما يشهد الناس له أشباهًا فى الأرض . . أما طبيعتها وطبيعة المتاع بها فهى موكولة إلى المذاق هناك . للسعداء الذين يقسم الله لهم هذا المذاق .

التقويم

١– وضح مشاهد يوم الغاشية وما يحدث فيه .

٢– بيّن مصائر الناس يوم القيامة ومشاهد من جزائهم كما رسمتها السورة .

الآيات من (١٧-٢٦)

﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ (٢٢) إِلاَّ مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾.

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١- أن يوضح الدارس صورة من قدرة الله وتدبيره كما رسمتها الآيات.

٢- أن يذكر وظيفة ومهمة الداعية إلى الله عز وجل.

وتنتهى هذه الجولة فى العالم الآخر، فيؤوب منها إلى هذا الوجود الظاهر. الحاضر. الموحى بقدرة القادر وتدبير المدبر:

﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾.. أفلا ينظرون إلى خلقتها وتكوينها؟ ثم يتدبرون: كيف خلقت على هذا النحو المناسب لوظيفتها، المحقق لغاية خلقها، المتناسق مع بيئتها ووظيفتها جميعًا! إنهم لم يخلقوها. وهى لم تخلق نفسها، فلا يبقى إلا أن تكون من إبداع المبدع المتفرد بصنعته، التى تدل عليه، وتقطع بوجوده، كما تشى بتدبيره وتقديره.

﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾.. وتوجيه القلب إلى السماء يتكرر فى القرآن.. أفلا ينظرون إليها؟ أفلا ينظرون إليها كيف رفعت؟ من ذا رفعها بلا عمد؟ و نثر فيها النجوم بلا عدد؟ وجعل فيها هذه البهجة وهذا الجمال وهذا الإيحاء؟ إنهم لم يرفعوها وهى لم ترفع نفسها. فلابد لها من رافع ولابد لها من مبدع.

﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾.. ومشهدها يوحى إلى النفس الإنسانية بصفة عامة جلالاً واستهوالاً. حيث يتضاءل الإنسان إلى جوارها ويستكين، ويخشع للجلال السامق الرزين.

﴿وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾.. والأرض مسطوحة أمام النظر، ممهدة للحياة والسير والعمل.. أفلا ينظرون إليها ويتدبرون ما وراءها، ويسألون: من سطحها ومهدها هكذا

للحياة تمهيداً؟ والآن.. يلتفت إلى الرسول يوجهه إلى حدود واجبه وطبيعة وظيفته، ويلمس قلوبهم اللمسة الأخيرة الموقظة:

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾..

فذكر.. ذكرهم بالآخرة وما فيها. وذكرهم بالكون وما فيه. إنما أنت مذكر. هذه وظيفتك على وجه التحديد. وهذا دورك فى هذه الدعوة، ليس لك ولا عليك شىء وراءه. عليك أن تذكر. فإنك ميسر لهذا ومكلف إياه.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾.. فأنت لا تملك من أمر قلوبهم شيئًا. حتى تقهرها وتقسرها على الإيمان. فالقلوب بين أصابع الرحمن، لا يقدر عليها إنسان.. وهذا الإيحاء بأن ليس للرسول من أمر هذه الدعوة شىء إلا التذكير والبلاغ يتكرر فى القرآن لأسباب شتى. فى أولها إعفاء أعصاب الرسول من حمل هم الدعوة بعد البلاغ، وتركها لقدر الله يفعل بها ما يشاء.

ولكن إذا كان هذا هو حد الرسول، فإن الأمر لا ينتهى عند هذا الحد. ولا يذهب المكذبون ناجين، ولا يتولون سالمين. إن هنالك الله وإليه تصير الأمور:

﴿إِلاَّ مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ﴾.. وهم راجعون إلى الله وحده قطعًا، وهو مجازيهم وحده حتمًا..

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾..

بهذا يتحدد دور الرسول فى هذه الدعوة. ودور كل داعية إليها بعده.. إنما أنت مذكر وحسابهم بعد ذلك على الله. ولا مفر لهم من العودة إليه، ولا محيد لهم من حسابه وجزائه.

التقويم

١- وضح صورة من قدرة الله وتدبيره كما رسمتها الآيات.

٢- اذكر وظيفة ومهمة الداعية إلى الله عز وجل.

سورة الفجر

هذه السورة فى عمومها حلقة من حلقات هذا الجزء فى الهتاف بالقلب البشرى إلى الإيمان والتقوى واليقظة والتدبر.. فى بعض مشاهدها جمال هادئ رفيق ندى السمات والإيقاعات، كهذا المطلع الندى بمشاهده الكونية الرقيقة، وبظل العبادة والصلاة فى ثنايا تلك المشاهد.. ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾.

وفى بعض مشاهدها شد وقصف.. كهذا المشهد العنيف المخيف: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾..

وفى بعض مشاهدها نداوة ورقة ورضا يفيض وطمأنينة.. كهذا الختام: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

الآيات من (١ - ١٤)

﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ - أن يذكر الدارس فضل المقسوم به فى الآيات.

٢ - أن يوضح الدارس مصارع الطغاة الغابرين الذين تحدثت عنهم السورة.

هذا القسم فى مطلع السورة يضم هذه المشاهد والخلائق: ﴿وَالْفَجْرِ﴾.. ساعة تنفس الحياة فى يسر.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ أطلقها النص القرآنى ووردت فيها روايات شتى.. قيل هى العشر من ذى الحجة، وقيل هى العشر من المحرم.، وقيل هى العشر من رمضان.. وإطلاقها هكذا أوقع وأندى. فهى ليال عشر يعلمها الله. ولها عنده شأن. ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾.. يطلقان روح الصلاة والعبادة فى ذلك الجو.. جو الفجر والليالى العشر.. ومن الصلاة الشفع والوتر..

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾.. والليل هنا مخلوق حى، يسرى فى الكون، وكأنه ساهر يجول فى الظلام! أو مسافر يختار السرى لرحلته البعيدة.

ومن ثم يعقب عليه فى النهاية: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾؟ وهو سؤال للتقرير. إن فى ذلك قسماً لذى لب وعقل. إن فى ذلك مقنعاً لمن له إدراك وفكر.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾.

وصيغة الاستفهام فى مثل هذا السياق إثارة لليقظة والالتفات. والخطاب للنبى ابتداء. ثم هو لكل من تتأتى منه الرؤية أو التبصر فى مصلرع أولئك الأقوام.. وإضافة الفعل إلى ﴿رَبُّكَ﴾ فيها للمؤمن طمأنينة وأنس وراحة، وبخاصة أولئك الذين كانوا فى مكة يعانون طغيان الطغاة، وعسف الجبارين من المشركين، الواقفين للدعوة وأهلها بالمرصاد.

وقد جمع الله فى هذه الآيات القصار مصارع أقوى الجبارين الذين عرفهم التاريخ القديم.. مصرع «عاد إرم» وهى عاد الأولى.. وكان مسكنهم بالأحقاف وهى كثبان الرمال.. فى جنوبى الجزيرة بين حضرموت واليمن. وكانوا بدوا ذوى خيام تقوم على عماد. وقد وصفوا فى القرآن بالقوة والبطش، فقد كانت قبيلة عاد هى أقوى قبيلة فى وقتها وأميزها: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾. فى ذلك الأوان..

﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾.. وكانت ثمود تسكن بالحجر فى شمال الجزيرة العربية بين المدينة والشام. وقد قطعت الصخر وشيدته قصوراً؛ كما نحتت فى الجبال ملاجئ ومغارات.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾... وهى على الأرجح الأهرامات التى تشبه الأوتاد الثابتة فى الأرض المتينة البنيان. وفرعون المشار اليه هنا هو فرعون موسى الطاغية الجبار.

هؤلاء هم ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ﴾ .. وليس وراء الطغيان إلا الفساد. فالطغيان يفسد الطاغية. ويفسد الذين يقع عليهم الطغيان سواء. كما يفسد العلاقات والارتباطات فى كل جوانب الحياة. فلما أكثروا فى الأرض الفساد، كان العلاج هو تطهير وجه الأرض من الفساد:

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ .. فربك راصد لهم ومسجل لأعمالهم، فلما أن كثر الفساد وزاد صب عليهم سوط عذاب، وهو تعبير يوحى بلذع العذاب حين يذكر السوط، وبفيضه وغمره حين يذكر الصب. حيث يجتمع الألم اللاذع والغمرة الطاغية، على الطغاة الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد.. ومن وراء المصارع كلها تفيض الطمأنينة على القلب المؤمن وهو يواجه الطغيان فى أى زمان وأى مكان. ومن قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ تفيض طمأنينة خاصة، فربك هناك راصد لا يفوته شىء. مراقب لا يند عنه شىء. فيطمئن بال المؤمن.. فإن ربه.. بالمرصاد.. للطغيان والشر والفساد.

التقويم

١- اذكر فضل المقسوم به فى الآيات.

٢- ما الليالى العشر التى تتحدث عنها الآيات - وما فضلها؟.

٣- وضح مصارع الطغاة الغابرين الذين تحدثت عنهم السورة.

٤- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ ما وقع هذه الآية على نفسك.

الآيات من (١٥-٣٠)

﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١- أن يوضح الدارس خصائص النفس البشرية الواردة فى الآيات.

٢- أن يوضح تصور الإنسان للمنع والعطاء.

٣- أن يذكر الدارس مشاهد من الانقلابات الكونية التى تقع يوم القيامة.

٤- أن يصور الدارس الحسرة والندم الذى يصيب الإنسان (العاصى) يوم القيامة.

٥- أن يوضح الدارس مصير كل صنف من الناس يوم القيامة.

﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ ..

فهذا هو تصور الإنسان لما يبتليه الله به من أحوال، ومن بسط وقبض، ومن توسعة وتقدير.. فلا يدرك أنه الابتلاء، تمهيداً للجزاء. إنما يحسب هذا الرزق وهذه المكانة دليلاً على استحقاقه عند الله الإكرام، وعلامة على اصطفاء الله له واختياره. فيعتبر البلاء جزاء والامتحان نتيجة! ويقيس الكرامة عند الله بعرض هذه الحياة! ويبتليه بالتضييق عليه فى الرزق، فيحسب الابتلاء جزاء كذلك، ويحسب الاختبار عقوبة، ويرى فى ضيق الرزق مهانة عند الله، فلو لم يرد مهانته ما ضيق عليه رزقه.

وهو فى كلتا الحالتين مخطئ فى التصور ومخطئ فى التقدير. فبسط الرزق أو قبضه

ابتلاء من الله لعبده. ليظهر منه الشكر على النعمة أو البطر. ويظهر منه الصبر على المحنة أو الضجر.. وليس ما أعطى من عرض الدنيا أو منع هو الجزاء.. وقيمة العبد عند الله لا تتعلق بما عنده من عرض الدنيا. ورضا الله أو سخطه لا يستدل عليه بالمنح والمنع فى هذه الأرض.

.. ﴿كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾.

كلا.. ليس بسط الرزق دليلاً على الكرامة عند الله. وليس تضييق الرزق دليلاً على المهانة والإهمال. إنما الأمر أنكم لا تنهضون بحق العطاء، ولا توفون بحق المال. فأنتم لا تكرمون اليتيم الصغير الذى فقد حاميه وكافله حين فقد أباه، ولا تتحاضون فيما بينكم على إطعام المسكين. الساكن الذى لا يتعرض للسؤال وهو محتاج.. إنكم لا تدركون معنى الابتلاء. فلا تحاولون النجاح فيه، بإكرام اليتيم والتواصى على إطعام المسكين، بل أنتم – على العكس – تأكلون الميراث أكلاً شرها جشعًا، وتحبون المال حبًا كثيراً طاغيًا، لا يستبقى فى نفوسكم أريحية ولا مكرمة مع المحتاجين إلى الإكرام والطعام. وفى هذه الآيات فوق الكشف عن واقع نفوسهم، تنديد بهذا الواقع، وردع عنه.

وعند هذا الحد من فضح حقيقة حالهم المنكرة، بعد تصوير خطأ تصورهم فى الابتلاء بالمنع والعطاء، يجئ التهديد الرعيب بيوم الجزاء وحقيقته، بعد الابتلاء ونتيجته:

﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾.

ودك الأرض، وتحطيم معالمها وتسويتها؛ هو أحد الانقلابات الكونية التى تقع فى يوم القيامة. فأما مجئ ربك والملائكة صفًا صفًا، فهو أمر غيبى لا ندرك طبيعته ونحن فى هذه الأرض.. كذلك المجيء بجهنم. تأخذ منه قربها منهم وقرب المعذبين منها وكفى. فأما حقيقة ما يقع وكيفيته فهى من غيب الله المكنون ليومه المعلوم.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ﴾.. الإنسان الذى غفل عن حكمة الابتلاء بالمنع والعطاء. والذى أكل التراث أكلاً لمًا، وأحب المال حبًا جمًا. والذى لم يكرم اليتيم ولم يحض على طعام المسكين.. يومئذ يتذكر. يتذكر الحق ويتعظ بما يرى.. ولكن لقد فات الأوان ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾.. ولقد مضى عهد الذكرى، فما عادت تجدى هنا فى دار

الجزاء أحداً! وإن هى إلا الحسرة على فوات الفرصة فى دار العمل فى الحياة الدنيا!

وحين تتجلى له هذه الحقيقة: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾.. يا ليتنى قدمت شيئاً لحياتى هنا. فهى الحياة الحقيقية التى تستحق اسم الحياة.. يا ليتنى.. أمنية فيها الحسرة الظاهرة، وهى أقسى ما يملكه الإنسان فى الآخرة.

ثم يصور مصيره بعد الحسرة الفاجعة والتمنيات الضائعة: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾.. إنه الله القهار الجبار. الذى يعذب يومئذ عذاب الفذ الذى لا يملك مثله أحد، والذى يوثق وثاقه الفذ الذى لا يوثق مثله أحد.. وفى وسط هذا الهول المروع، وهذا العذاب والوثاق، الذى يتجاوز كل تصور تنادى (النفس) المؤمنة من الملأ الأعلى:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

هكذا فى عطف وقرب: ﴿يَا أَيَّتُهَا﴾ وفى روحانية وتكريم: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ﴾.. وفى ثناء وتطمين.. ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾..

وفى وسط الشد والوثاق، الانطلاق والرخاء: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ ارجعى إلى مصدرك بعد غربة الأرض وفرقة المهد.. ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ بهذه النداوة التى تفيض على الجو كله بالتعاطف والرضا..﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾.. المقربين المختارين لينالوا هذه القربى ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.. فى كنفى ورحمتى..

التقويم

١– وضح خصائص النفس البشرية الواردة فى الآيات.

٢– وضح تصور الإنسان للمنع والعطاء ومدى صحة أو خطأ هذا التصور.

٣– اذكر مشاهد من الانقلابات الكونية التى تقع يوم القيامة.

٤– صور الحسرة والندم الذى يصيب الإنسان (العاصى) يوم القيامة.

٥– وضح مصير كل صنف من الناس يوم القيامة.

سورة البلد

﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ (٢٠)﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ – أن يذكر الدارس الحكمة من القسم بهذا البلد الذى يقسم الله به.

٢ – أن يوضح الدارس ما تضمنته السورة من حقائق أساسية فى حياة الكائن الإنسانى.

٣ – أن لا ينخدع الدارس بما يعطيه الله من أطراف القوة ويتذكر قدرة الله عليه.

٤ – أن يذكر الدارس المقصود بالعقبة فى السورة.

٥ – أن يبين الدارس السبيل لاقتحام العقبة فى سبيل الله.

٦ – أن يبين الدارس الصنفين من الناس الذين تحدثت عنهم الآيات وأفعالهم ومصيرهم.

تضم هذه السورة الصغيرة جناحيها على حشد من الحقائق الأساسية فى حياة الكائن الإنسانى ذات الإيحاءات الدافعة واللمسات الموحية. حشد يصعب أن يجتمع فى هذا الحيز الصغير فى غير القرآن الكريم، وأسلوبه الفريد فى التوقيع على أوتار القلب البشرى بمثل هذه اللمسات السريعة العميقة.

تبدأ السورة بالتلويح بقسم عظيم، على حقيقة فى حياة الإنسان ثابتة: ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾.

والبلد هو مكة. بيت الله الحرام. أول بيت وضع للناس فى الأرض. ليكون مثابة لهم وأمنا.. ثم هو بيت إبراهيم والد إسماعيل أبى العرب والمسلمين أجمعين.. ويكرم الله نبيه محمداً فيذكره ويذكر حله بهذا البلد وإقامته، بوصفها ملابسة تزيد هذا البلد حرمة، وتزيده شرفا.. وحين يقسم الله – سبحانه – بالبلد والمقيم فيه، فإنه يخلع عليه

عظمة وحرمة فوق حرمته، فيبدو موقف المشركين الذين يدعون أنهم سدنة البيت وأبناء إسماعيل وعلى ملة إبراهيم، موقفاً منكراً قبيحاً من جميع الوجوه.

ولعل هذا المعنى يرشح لاعتبار: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾.. إشارة خاصة إلى إبراهيم، أو إلى إسماعيل – عليهما السلام – وإضافة هذا إلى القسم بالبلد والنبى المقيم به، وبانيه الأول وما ولد.. وإن كان هذا الاعتبار لا ينفى أن يكون المقصود هو: والد وما ولد إطلاقاً.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾.. فى مكابدة ومشقة، وجهد وكد، وكفاح وكدح.. إنه الكبد طبيعة الحياة الدنيا. تختلف أشكاله وأسبابه. ولكنه هو الكبد فى النهاية. فأخسر الخاسرين هو من يعانى كبد الحياة الدنيا لينتهى إلى الكبد الأشق الأمر فى الأخرى. وأفلح الفالحين من يكدح فى الطريق إلى ربه ليلقاه بمؤهلات تنهى عنه كبد الحياة، وتنتهى به إلى الراحة الكبرى فى ظلال الله. وبعد تقرير هذه الحقيقة عن طبيعة الحياة الإنسانية يناقش بعض دعاوى «الإنسان» وتصوراته التى تشى بها تصرفاته:

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾؟

إن هذا الإنسان المخلوق فى كبد.. لينسى حقيقة حاله وينخدع بما يعطيه خالقه من أطراف القوة والقدرة، فيتصرف تصرف الذى لا يحسب أنه مأخوذ بعمله، ولا يتوقع أن يقدر عليه قادر فيحاسبه.. ثم إنه إذا دعى للخير والبذل: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا﴾.. وأنفقت شيئاً كثيراً فحسبى ما أنفقت وما بذلت! ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ وينسى أن عين الله عليه، وأن علمه محيط به، فهو يرى ما أنفق، ولماذا أنفق. وأمام هذا الغرور.. يجابهه القرآن بفيض الآراء عليه فى خاصة نفسه، وفى صميم تكوينه: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾.. إن الإنسان يغتر بقوته، والله هو المنعم عليه بهذا القدر من القوة. ويضن بالمال. والله هو المنعم عليه بهذا المال. ولا يهتدى ولا يشكر، وقد جعل له من الحواس ما يهديه فى عالم المحسوسات: جعل له عينين على هذا القدر من الدقة فى تركيبهما وفى قدرتهما على الإبصار. وميزه بالنطق، وأعطاه أداته المحكمة: ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾.. ثم أودع نفسه خصائص القدرة على إدراك الخير والشر، والهدى والضلال، والحق والباطل: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾.. ليختار أيهما شاء.

هذه الآلاء كلها لم تدفع هذا الإنسان إلى اقتحام العقبة التى تحول بينه وبين الجنة، هذه العقبة التى يبينها الله له فى هذه الآيات.

﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴾ ؟ . . هذه هى العقبة التى يقتحمها الإنسان – إلا من استعان بالإيمان – هذه هى العقبة التى تقف بينه وبين الجنة . . ثم تفخيم لهذا الشأن العظيم : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴾ . . إنه ليس تضخيم العقبة، ولكنه تعظيم شأنها عند الله، ليحفز بها « الإنسان » إلى تحفزها وتخطيها؛ مهما تطلب من جهد ومن كبد . .

ويبدأ كشف العقبة وبيان طبيعتها بالأمر الذى كانت البيئة الخاصة التى تواجهها الدعوة فى أمس الحاجة إليه : فك الرقاب العانية؛ وإطعام الطعام والحاجة إليه ماسة للضعاف الذين تقسو عليهم البيئة الجاحدة المتكالبة . وقد ورد أن فك الرقبة هو المشاركة فى عتقها، وأن العتق هو الاستقلال بهذا . . وأيًا ما كان المقصود فالنتيجة الحاصلة واحدة .

. . وكانت الملابسات الحاضرة فى البيئة تجعل هذا العمل يذكر فى مقدمة الخطوات والوثبات لاقتحام العقبة فى سبيل الله .

﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ . .

والمسغبة : المجاعة، ويوم المجاعة الذى يعز فيه الطعام هو محك لحقيقة الإيمان وقد كان اليتيم يجد فى البيئة الجاهلية الجاحدة المتكالبة الخسف والغبن . ولو كان ذا قربى . وقد حفل القرآن بالوصية باليتيم . مما يدل على قسوة البيئة من حول اليتامى . . وكذلك إطعام المسكين ذى المتربة – أى اللاصق بالتراب من بؤسه وشدة حاله – فى يوم المسغبة يقدمه السياق القرآنى خطوة فى سبيل اقتحام العقبة، لأنه محك للمشاعر الإيمانية من رحمة وعطف وتكافل وإيثار، ومراقبة لله فى عياله، فى يوم الشدة والمجاعة والحاجة .

ثم عقب بالوثبة الكبرى الشاملة : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ . .

و﴿ ثُمَّ ﴾ هنا ليست للتراخى الزمنى، إنما هى للتراخى المعنوى باعتبار هذه الخطوة هى الأشمل والأوسع نطاقًا والأعلى أفقًا . وإلا فما ينفع فك رقاب ولا إطعام بلا إيمان . فالإيمان مفروض وقوعه قبل فك الرقاب وإطعام الطعام . وهو الذى يجعل للعمل الصالح وزنًا فى ميزان الله .

والصبر هو العنصر الضرورى للإيمان بصفة عامة، ولاقتحام العقبة بصفة خاصة . والتواصى به يقرر درجة وراء درجة الصبر ذاته . درجة تماسك الجماعة المؤمنة، وتواصيها

على معنى الصبر، وتعاونها على تكاليف الإيمان . . وكذلك التواصى بالمرحمة . فهو أمر زائد على المرحمة . إنه إشاعة الشعور بواجب التراحم فى صفوف الجماعة عن طريق التواصى به، والتحاض عليه، واتخاذه واجبًا جماعيًا فرديًا فى الوقت ذاته، يتعارف عليه الجميع، ويتعاون عليه الجميع .

وأولئك الذين يقتحمون العقبة : ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ . . وهم أصحاب اليمين كما جاء فى مواضع أخرى . أو أنهم أصحاب اليمين والحظ والسعادة . . وكلا المعنيين متصل فى المفهوم الإيمانى . ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (19) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴾ . .

ولم يحتج هنا إلى ذكر أوصاف أخرى لفريق المشأمة غير أن يقول : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا ﴾ . . لأن صفة الكفر تنهى الموقف . فلا حسنة مع الكفر . ولا سيئة إلا والكفر يتضمنها أو يغطى عليها . . وهم أصحاب المشأمة . أى أصحاب الشمال أو هم أصحاب الشؤم والنحس . . وكلاهما كذلك قريب فى المفهوم الإيمانى .

﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴾ . . أى مغلقة . . إما على المعنى القريب . أى أبوابها مغلقة عليهم وهم فى العذاب محبوسون . وإما على لازم هذا المعنى القريب؛ وهو أنهم لا يخرجون منها . فيحكم إغلاقها عليهم لا يمكن أن يزايلوها . . وهذان المعنيان متلازمان .

التقويم

١ – اذكر الحكمة من القسم بهذا البلد الذى يقسم الله به .

٢ – وضح ما تضمنته السورة من حقائق أساسية فى حياة الكائن الإنسانى .

٣ – هل تنخدع بما يعطيك الله من أطراف القوة والقدرة (مال – صحة – ولد)؟ وهل تتذكر قدرة الله عليك فى كل حين؟ . اذكر موقفًا عمليًا مررت به شخصيًا يؤكد إجابتك .

٤ – اذكر المقصود بالعقبة فى السورة .

٥ – بيّن السبيل لاقتحام العقبة فى سبيل الله .

٦ – بيّن الصنفين من الناس الذين تحدثت عنهم الآيات وأفعالهم ومصيرهم .

سورة الشمس

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاه
(٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَ
وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِ
انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِ
رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥) ﴾

هذه السورة القصيرة ذات القافية الواحدة، والإيقاع الموسيقى الواحد، تتضمن عد لمسات وجدانية تنبثق من مشاهد الكون وظواهره التى تبدأ بها السورة والتى تظه كأنها إطار للحقيقة الكبيرة التى تتضمنها السورة. حقيقة النفس الإنسانية واستعداداتها الفطرية، ودور الإنسان فى شأن نفسه، وتبعته فى مصيرها.. هذه الحقيق التى يربطها سياق السورة بحقائق الكون ومشاهده الثابتة. كذلك تتضمن قصة ثمود وتكذيبها بإنذار رسولها، وعقرها للناقة، ومصرعها بعد ذلك وزوالها. وهى نموذج م الخيبة التى تصيب من لا يزكى نفسه، فيدعها للفجور، ولا يلزمها تقواها.

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ – أن يصور الدارس مشاهد الكون وحقائق النفس الإنسانية واستعداداتها كما رسمتها السورة.

٢ – أن يبين الدارس دور الإنسان فى شأن نفسه وتبعته فى مصيرها.

٣ – أن يذكر الدارس النموذج (القصة) التى ذكرتها السورة ودلالاتها.

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا ﴾ يقسم الله سبحانه بهذه الخلائق والمشاهد الكونية، كما يقسم بالنفس وتسويتها وإلهامها. ومن شأن هذا القسم أن يخلع على هذه الخلائق قيمة كبرى؛ وأن يوجه إليها القلوب تتملاها، وتتدبر ماذا لها من قيمة وماذا بها من دلالة، حتى استحقت أن يقسم بهذا الجليل العظيم وهنا نجد القسم الموحى بالشمس وضحاها.. بالشمس عامة وحين تضحى وترتفع عن الأفق بصفة خاصة.

وبالقمر إذا تلاها.. إذا تلا الشمس بنوره اللطيف الشفيف الرائق الصافى. ويقسم بالنهار إذا جلاها.. والضمير فى ﴿ جَلاَّهَا ﴾.. الظاهر أن يعود إلى الشمس المذكورة فى السياق.. ولكن الإيحاء القرآنى يشى بأنه ضمير هذه البسيطة.. فالنهار يجلى البسيطة ويكشفها. وللنهار فى حياة الإنسان آثاره التى يعلمها.

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾.. والتغشية هى مقابل التجلية. والليل غشاء يضم كل شىء ويخفيه. وهو مشهد له فى النفس وقع. وله فى حياة الإنسان أثر كالنهار سواء.

ثم يقسم بالسماء وبنائها: ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾.. ﴿ وَمَا ﴾ هنا مصدرية. ولفظ السماء حين يذكر يسبق إلى الذهن هذا الذى نراه فوقنا كالقبة حيثما اتجهنا.. وهذا الذى نراه فوقنا متماسكًا لا يختل ولا يضطرب تتحقق فيه صفة البناء بثباته وتماسكه. أما كيف هو مبنى، وما الذى يمسك أجزاءه فلا تتأثر وهو سابح فى الفضاء.. فذلك ما لا ندريه.. إنما نوقن من وراء كل شىء أن يد الله هى تمسك هذا البناء.. وهذا هو العلم المستيقن الوحيد.

كذلك يقسم بالأرض وطحوها: ﴿ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾.. والطحو كالدحو: البسط والتمهيد للحياة. وهى حقيقة قائمة تتوقف على وجودها حياة الجنس البشرى وسائر الأجناس الحية. ثم تجىء الحقيقة الكبرى عن النفس البشرية.. وهى إحدى الآيات الكبرى فى هذا الوجود المترابط المتناسق:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾.. ومن خلال هذه الآيات وأمثالها تبرز لنا نظرة الإسلام إلى الإنسان بكل معالمها:

إن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد، مزدوج الاتجاه، ونعنى بكلمة مزدوج على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه.. مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال. فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر سواء. وأن هذه القدرة كامنة فى كيانه.. فى صورة استعداد.. والرسالات والتوجيهات والعوامل الخارجية إنما توقظ هذه الاستعدادات وتشحذها وتوجهها هنا أو هناك. ولكنها لا تخلقها خلقًا.

وهناك إلى جانب هذه الاستعدادات الفطرية الكامنة قوة واعية مدركة موجهة فى

ذات الإنسان. هى التى تناط بها التبعة. فمن استخدم هذه القوة فى تزكية نفسه وتطهيرها وتنمية استعداد الخير فيها، وتغليبه على استعداد الشر.. فقد أفلح. ومن أظلم هذه القوة وخبأها وأضعفها فقد خاب: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾.

ورحمة من الله بالإنسان لم يدعه لاستعداد فطرته الإلهامى، ولا للقوة الواعية المالكة للتصرف، فأعانه بالرسالات التى تضع له الموازين الثابتة الدقيقة، وتكشف له عن موحيات الإيمان، ودلائل الهدى فى نفسه وفى الآفاق من حوله، وتجلو عنه غواشى الهوى فيبصر الحق فى صورته الصحيحة.

هذه النظرة المجملة.. تنبثق منها جملة حقائق ذات قيمة فى التوجيه التربوى:

فهى – أولاً – ترتفع بقيمة هذا الكائن الإنسانى، حين تجعله أهلاً لاحتمال تبعة اتجاهه، وتمنحه حرية الاختيار [فى إطار المشيئة الإلهية التى شاءت له هذه الحرية فيما يختار].

وهى – ثانيًا – تلقى على هذا الكائن تبعة مصيره، وتجعل أمره بين يديه [فى إطار المشيئة الكبرى] فتثير فى حسه كل مشاعر اليقظة والتحرج والتقوى. وهو يعلم أن قدر الله فيه يتحقق من خلال تصرفه هو بنفسه.

وهى – ثالثًا – تشعر هذا الإنسان بالحاجة الدائمة للرجوع إلى الموازين الإلهية الثابتة، ليظل على يقين أن هواه لم يخدعه، ولم يضلله، كى لا يقوده الهوى إلى المهلكة، ولا يحق عليه قدر الله فيمن جعل إلهه هواه.

بعد ذلك يعرض نموذجًا من نماذج الخيبة التى ينتهى إليها من يدسى نفسه، فيحجبها عن الهدى ويدنسها:

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴾.

وقد وردت قصة ثمود ونبيها صالح – عليه السلام – فى مواضع شتى من القرآن.. فأما فى هذا الموضع فهو يذكر أن ثمود بسبب من طغيانها كذبت نبيها، فكان الطغيان وحده هو سبب التكذيب، وتمثل هذا الطغيان فى انبعاث أشقاها. وهو الذى عقر

الناقة، وهو أشدها شقاء وأكثرها تعاسة بما ارتكب من الإثم. وقد حذرهم رسول الله قبل الإقدام على الفعلة فقال لهم: احذروا أن تمسوا ناقة الله أو تمسوا الماء الذى جعل لها يوما ولهم يوم، كما اشترط عليهم عندما طلبوا منه آية فجعل الله هذه الناقة آية.. فكذبوا النذير فعقروا الناقة. والذى عقرها هو هذا الأشقى. ولكنهم جميعًا حملوا التبعة وعدوا أنهم عقروها، لأنهم لم يضربوا على يده، بل استحسنوا فعلته. وهذا مبدأ من مبادئ الإسلام الرئيسية فى التكافل فى التبعة الاجتماعية فى الحياة الدنيا. لا يتعارض مع التبعة الفردية فى الجزاء الأخروى حيث لا تزر وازرة وزر أخرى.. عندئذ تتحرك يد القدر لتبطش البطشة الكبرى: ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴾.. والدمدمة الغضب وما يتبعه من تنكيل. واللفظ ذاته (دمدم) يوحى بما وراءه.. وقد سوى الله أرضهم عاليها بسافلها.

﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾.. سبحانه وتعالى.. ومن ذا يخاف؟ وماذا يخاف؟ وأنى يخاف؟ إنما يراد من هذا التعبير لازمة المفهوم منه. فالذى لا يخاف عاقبة ما يفعل، يبلغ غاية البطش حين يبطش. وكذلك بطش الله كان: إن بطش ربك لشديد.

التقويم

١ – صوِّر مشاهد الكون وحقائق النفس الإنسانية واستعداداتها كما رسمتها السورة.

٢ – بيِّن دور الإنسان فى شأن نفسه وتبعته فى مصيرها.

٣ – أشارت الآيات إلى طريق الفلاح وطريق الخيبة، بيِّن أى الطريقين تختار، وما الوسائل التى تستعين بها لسلوك هذا الطريق؟.

٤ – اذكر النموذج (القصة) التى ذكرتها السورة ودلالاتها.

سورة الليل

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١)﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية :

١ – أن يصور الدارس الظواهر والحقائق المتقابلة فى الكون وفى الناس كما رسمتها السورة .

٢ – أن يبين الدارس دور الإنسان فى شأن نفسه وتبعته فى مصيرها .

٣ – أن يصور الدارس طريق اليسرى وطريق العسرى، وسالكى كلٍ من الطريقين وأفعالهم ومصيرهم .

٤ – أن يبين الدارس من هو الأشقى ومن هو الأتقى وما مصيرهم .

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ . . يقسم الله – سبحانه – بهاتين الآيتين : الليل والنهار . . الليل حين يغشى البسيطة، ويغمرها ويخفيها . والنهار حين يتجلى ويظهر، فيظهر فى تجليه كل شيء ويسفر . وهما آنان متقابلان فى دورة الفلك . . كذلك يقسم بخلقه الأنواع جنسين متقابلين : ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ . . تكملة لظواهر التقابل فى جو السورة وحقائقها جميعًا . يقسم الله بهذه الظواهر والحقائق المتقابلة فى الكون وفى الناس، على أن سعى الناس مختلف وطرقهم مختلفة، ومن ثم فجزاؤهم مختلف كذلك :

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ . .

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ . . مختلف فى حقيقته . مختلف فى بواعثه . مختلف فى اتجاهه . مختلف فى نتائجه . . والناس فى هذه الأرض تختلف طبائعهم . . وتختلف تصوراتهم، وتختلف اهتماماتهم . . هذه حقيقة . ولكن هناك حقيقة أخرى . حقيقة إجمالية تضم أشتات البشر جميعًا . . تضمها فى حزمتين اثنتين . وفى صفين متقابلين . تحت رايتين عامتين : ﴿ . . مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ و ﴿ . . مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ . من أعطى نفسه وماله . واتقى غضب الله وعذابه . وصدق بهذه العقيدة التى إذا قيل (الحسنى) كانت اسمًا لها وعلمًا عليها .

ومن بخل بنفسه وماله . واستغنى عن الله وهداه . وكذب بهذه الحسنى . . هذان هما الصفان اللذان يلتقى فيهما شتات النفوس، وشتات السعى، وشتات المناهج، وشتات الغايات . ولكل منهما فى هذه الحياة طريق .

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ . . والذى يعطى ويتقى ويصدق بالحسنى يكون قد بذل أقصى ما فى وسعه ليزكى نفسه ويهديها . عندئذ يستحق عون الله وتوفيقه الذى أوجبه – سبحانه – على نفسه بإرادته ومشيئته . . ومن يسره الله لليسرى فقد وصل . . وعاش فى يسر . يفيض اليسر من نفسه على كل ما حوله وعلى كل من حوله . اليسر فى خطوه . واليسر فى طريقه . واليسر فى تناوله للأمور كلها .

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ . .

والذى يبخل بنفسه وماله، ويستغنى عن ربه وهداه، ويكذب بدعوته ودينه . . يبلغ أقصى ما يبلغه إنسان بنفسه من تعريضها للفساد . ويستحق أن يعسر الله عليه كل شيء، فييسره للعسرى . . ويحرمه كل تيسير . ويجعل فى كل خطوة من خطاه مشقة وحرجًا، ينحرف به عن طريق الرشاد . ويصعد به فى طريق الشقاوة . . فإذا تردى وسقط فى نهاية العثرات والانحرافات لم يغن عنه ماله الذى بخل به، والذى استغنى به كذلك عن الله وهداه . . ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ . . والتيسير للشر والمعصية من التيسير للعسرى، وإن أفلح صاحبها فى هذه الأرض ونجا . . وهل أعسر من جهنم؟ وإنها لهى العسرى!

فأما المقطع الثانى فيتحدث عن مصير كل فريق . ويكشف عن نهاية المطاف لمن يسره لليسرى، ومن يسره للعسرى :

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ . . لقد كتب الله على نفسه – فضلاً منه بعباده ورحمة – أن يبين

الهدى لفطرة الناس ووعيهم. وأن يبينه لهم كذلك [illegible] الآيات، فلا تكون هناك حجة لأحد، ولا يكون هناك ظلم لأحد: ﴿إن [illegible]﴾.

واللمسة الثانية هى التقرير الجازم لحقيقة السيطرة التى تحيط بالناس فلا يجدون من دونها موئلاً: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَىٰ﴾ .. فأين يذهب من يريد أن يذهب عن الله بعيداً؟!

وتفريعًا على هذا يذكرهم أنه أنذرهم وحذرهم وبين لهم: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ .. وتتسعر.. هذه النار المتسعرة ﴿لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى﴾ .. **أشقى العباد جميعًا.. ثم يبين** من هو الأشقى. إنه: ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ .. كذب بالدعوة **وتولى عنها. تولى عن** الهدى وعن دعوة ربه له ليهديه كما وعد كل من يأتى إليه راغبًا.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى﴾ .. وهو الأسعد فى مقابل الأشقى.. **ثم يبين من هو الأتقى:** ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾ .. الذى ينفق ماله ليتطهر بإنفاقه، لا ليرائى به ويستعلى. ينفقه تطوعًا لا ردًا لجميل أحد، ولا طلبًا لشكران أحد، وإنما ابتغاء وجه ربه خالصًا.. ربه الأعلى.. ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (19) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ﴾ ..

ثم ماذا؟ ماذا ينتظر هذا الأتقى، الذى يؤتى ماله تطهرًا، وابتغاء وجه ربه الأعلى؟ إن الجزاء الذى يطالع القرآن به الأرواح المؤمنة هنا عجيب.. ومفاجئ. وعلى غير المألوف: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ . إنه الرضا ينسكب فى قلب هذا الأتقى. إنه الرضا يغمر روحه. إنه الرضا يفيض على جوارحه. إنه الرضا يشيع فى كيانه. إنه الرضا يندى حياته.. ويا له من جزاء! ويا لها من نعمة كبرى.. إنه جزاء لا يمنحه إلا الله.

التقويم

١ – صوِّر الظواهر والحقائق المتقابلة فى الكون وفى الناس كما رسمتها السورة.

٢ – بيِّن دور الإنسان فى شأن نفسه وتبعته فى مصيرها.

٣ – صور طريق اليسرى وطريق العسرى، وسالكى كل من الطريقين وأفعالهم ومصيرهم.

٤ – بيِّن من هو الأشقى ومن هو الأتقى وما أفعالهم وما مصيرهم.

٥ – بعد أن عرفت الطريقين (اليسرى – العسرى) وعرفت الصنفين (الأتقى – الأشقى) صوِّر أى الدربين تختار وما تنوى عمله لسلوك هذا الدرب.

سورة الضحى

﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ – أن يوضح الدارس ما تضمنته السورة من تسرية وتسلية لرسول الله ﷺ.

٢ – أن يذكر الدارس توجيه الله عز وجل لرسوله ﷺ ولأمته من بعده فى آخر السورة.

هذه السورة بموضوعها، وتعبيرها، ومشاهدها.. لمسة من حنان.. ويد حانية تمسح على الآلام والمواجع.. وتسكب البرد والطمأنينة واليقين.. إنها كلها خالصة للنبى ﷺ كلها نجاء له من ربه، وتسرية وتسلية وترويح وتطمين.

﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ .

يقسم الله – سبحانه – بهذين الآنين الرائقين الموحيين. فيربط بين ظواهر الكون ومشاعر النفس.. فيعيش ذلك القلب فى أنس من هذا الوجود، غير موحش ولا غريب فيه فريد.. وفى هذه السورة بالذات يكون لهذا الأنس وقعه. فظل الأنس هو المراد مده.

وبعد هذا الإيحاء الكونى يجيء التوكيد المباشر: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ .. ما تركك ربك وما جافاك – كما يزعم من يريدون إيذاء روحك وإيجاع قلبك وإقلاق خاطرك.

وما غاض معين فضله وفيض عطائه. فإن لك عنده فى الآخرة من الحسنى خيرًا مما يعطيك منها فى الدنيا: ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَىٰ﴾ .. فهو الخير أولاً وأخيرًا.

وإنه ليدخر لك ما يرضيك من التوفيق فى دعوتك، وإزاحة العقبات من طريقك، وغلبة منهجك، وظهور حقك.. وهى الأمور التى كانت تشغل باله وهو يواجه العناد والتكذيب والأذى والكيد.. والشماتة.. ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ .

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ﴾..

انظر فى واقع حالك، وماضى حياتك.. **هل ودعك ربك وهل قلاك** – **حتى قبل** أن يعهد إليك بهذا الأمر؟ – ألم تحط يتمك رعايته؟ **ألم تدرك حيرتك هدايته؟ ألم يغمر** فقرك عطاؤه؟

لقد ولدت يتيمًا فآواك إليه، وعطف عليك القلوب **حتى قلب عمك أبى** طالب وهو على غير دينك!

ولقد كنت فقيرًا فأغنى الله نفسك بالقناعة، كما **أغناك بكسبك ومال أهل بيتك**.. عن أن تحس الفقر، أو تتطلع إلى ما حولك من ثراء.

ثم لقد نشأت فى جاهلية مضطربة التصورات والعقائد.. **ثم هداك الله** بالأمر الذى أوحى به إليك، وبالمنهج الذى يصلك به.

وبمناسبة ما ذكره ربه بإيوائه من اليتم، وهدايته من الحيرة وإغنائه من العيلة.. يوجهه ويوجه المسلمين من ورائه إلى رعاية كل يتيم، وإلى كفالة كل سائل، وإلى التحدث بنعمة الله الكبرى عليه، وفى أولها: الهداية إلى هذا الدين:

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾..

وهذه التوجيهات إلى إكرام اليتيم والنهى عن قهره وكسر خاطره وإذلاله، وإلى إغناء السائل مع الرفق به والكرامة، كانت من أهم إيحاءات الواقع فى البيئة الجاحدة المتكالبة، التى لا ترعى حق ضعيف، غير قادر على حماية حقه بسيفه..

وأما التحدث بنعمة الله – وبخاصة نعمة الهدى والإيمان – فهو صورة من صور الشكر للمنعم. يكملها البر بعباده، وهو المظهر العملى للشكر، والحديث الصامت النافع الكريم.

التقويم

١ – وضح ما تضمنته السورة من تسرية وتسلية لرسول الله ﷺ.

٢ – اذكر توجيه الله عز وجل لرسوله ﷺ ولأمته من بعده فى آخر السورة.

الفصل الثانى

الحديث الشريف

الحديث السادس

الحَلالُ والحَرَام

عَن أبى عَبْد الله النُّعْمَان بْن بَشير رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الحَلال بين وإنَّ الْحَرَام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب**» رواه البخارى ومسلم.

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١– أن يوضح الدارس المقصود بالحلال.

٢– أن يوضح الدارس المقصود بالحرام

٣– أن يوضح الدارس المقصود بالأمور المشتبهات.

٤– أن يوضح الدارس الواجب تجاه الشبهات.

٥– أن يوضح الدارس مكانة القلب من الجسد.

٦– أن يوضح الدارس كيف يطبق هذا الحديث فى حياته.

مفردات الحديث:

«**بَيِّن**»: ظاهر.

«**مُشْتَبِهَات**»: جمع مشتبه، وهو المشكل، لما فيه من عدم الوضوح فى الحل والحرمة.

«**لا يَعْلَمُهُن**»: لا يعلم حكمها.

«**اتقِى الشبهات**»: ابتعد عنها، وجعل بينه وبين كل شبهة أو مشكلة وقاية.

«**استبرأ لدينه وعرضه**»: طلب البراءة أو حصل عليها لعرضه من الطعن، ولدينه من النقص، وأشار بذلك إلى ما يتعلق بالناس وما يتعلق بالله عز وجل.

«**الْحِمَى**»: المحمى، وهو المحظور على غير مالكه.

«مضغة»: قطعة من اللحم قدر ما يمضغ فى الفم.

«أن يرتع فيه»: أن تأكل منه ماشيته وتقيم فيه.

المعنى العام:

الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات: **معناه أن الأشياء ثلاثة إقسام**: حلال واضح، لا يخفى حله، كأكل الخبز، والكلام، والمشى، **وغير ذلك.. وحرام واضح**، كالخمر والزنا، ونحوهما.. وأما المشتبهات: فمعناه أنها **ليست بواضحة الحل والحرمة، ولهذا لا** يعرفها كثير من الناس، وأما العلماء فيعرفون حكمها **بنص أو قياس، فإذا تردد الشىء بين** الحل والحرمة ولم يكن نص ولا إجماع اجتهد فيه المجتهد، **فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعى.**

وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم»**.

قوله عليه الصلاة والسلام: **«فمن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام»** يحتمل أمرين أحدهما أنه يقع فى الحرام وهو لا يظن أنه بحرام، والثانى أن يكون المعنى قد قارب أن يوقع فى الحرام كما يقال: **«المعاصى بريد الكفر»** لأن النفس إذا وقعت فى المخالفة تدرجت من مفسدة إلى أخرى أكبر منها، قيل: وإلى ذلك الإشارة إلى قوله تعالى: **﴿وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾** [آل عمران: ١١٢] يريد أنهم تدرجوا بالمعاصى إلى قتل الأنبياء، وفى الحديث: **«لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده»**. أى يتدرج من البيضة والحبل إلى نصاب السرقة..

ومن الورع ترك الشبهات مثل عدم معاملة إنسان فى ماله شبهة أو خالط ماله الربا، أو الإكثار من مباحات تركها أولى.

وقال الحسن البصرى: مازالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام.

وروى عن ابن عمر إنه قال: إنى لأحب أن أدع بينى وبين الحرام سترة من الحلال لا أخرقها.

لكل ملك حمى، وإن حمى الله فى أرضه محارمه: الغرض من ذكر هذا المثل هو التنبيه بالشاهد على الغائب، وبالمحسوس على المجرد، فإن ملوك العرب كانت تحمى مراعى لمواشيها وتتوعد من يقربها، والخائف من عقوبة الملك يبتعد بماشيته خوف الوقوع، وغير الخائف يتقرب منها ويرعى فى جوارها وجوانبها، فلا يلبث أن يقع فيها من غير اختياره، فيعاقب على ذلك.

ولله سبحانه فى أرضه حمى، وهى المعاصى والمحرمات، فمن ارتكب منها شيئًا

استحق عقاب الله فى الدنيا والآخرة، ومن اقترب منها بالدخول فى الشبهات يوشك أن يقع فى المحرمات.

صلاح القلب: يتوقف صلاح الجسد على صلاح القلب؛ لأنه أهم عضو فى جسم الإنسان، وهذا لا خلاف فيه من الناحية التشريحية والطبية، ومن المُسَلَّم به أن القلب هو مصدر الحياة المشاهدة للإنسان، وطالما هو سليم يَضخُّ الدَّمُ بانتظام إلى جميع أعضاء الجسم، فالإنسان بخير وعافية.

والمراد من الحديث صلاح القلب المعنوى، والمقصود منه صلاح النفس من داخلها حيث لا يطلع عليها أحد إلا الله تعالى، وهى السريرة.

والقلب السليم هو عنوان الفوز عند الله عز وجل، قال تعالى: **﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾**[الشعراء: ٨٨ – ٨٩].

ويلزم من صلاح حركات القلب صلاح الجوارح، فإذا كان القلب صالحًا ليس فيه إلا إرادة ما يريده الله، لم تنبعث الجوارح إلا فيما يريده الله، فسارعت إلى ما فيه رضاه وكفت عما يكره، وعما يخشى أن يكون مما يكرهه وإن لم يتيقن ذلك.

يفيد الحديث: الحث على فعل الحلال، واجتناب الحرام، وترك الشبهات، والاحتياط للدين والعرض، وعدم تعاطى الأمور الموجبة لسوء الظن والوقوع فى المحظور. سد الذرائع إلى المحرمات، وتحريم الوسائل إليها. الحرص على إصلاح القلب، وإصلاح النفس من داخلها.

التقويم

١ – يعتبر هذا الحديث الشريف قاعدة من أعظم قواعد الدين الحنيف – لماذا؟

٢ – «الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما...» .. وضح ذلك، وما المقصود بالأمور المشتبهات؟

٣ – وضح ما الواجب فى الأمور المشتبهات – وما أهمية ذلك ؟

٤ – وضح خطورة ومكانة القلب من الإنسان؟

٥ – هل لك من جهود فى صلاح قلبك تدلنا عليها لعل فيها النفع؟

٦– وضح ما يدعو إليه الحديث.

٧– وضح كيف تطبق هذا الحديث فى حياتك الشخصية.

الحديث السابع
الدِّينُ النَّصِيحَةُ

عن أبى رُقَيَّةَ تَمِيم بن أوْسٍ الدَّارِىِّ رضى الله عنه : أنَّ النَّبى ﷺ قال : «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قالَ : لله، ولِكِتَابه، ولِرَسُولِه، ولأئمةِ المُسْلِمينَ، وعامَّتِهِمْ» رواه مسلم.

الأهداف الإجرائية السلوكية :

١ – أن يوضح الدارس أهمية النصيحة.

٢ – أن يوضح الدارس المقصود بالنصيحة ومجالاتها.

٣ – أن يوضح الدارس آداب النصيحة.

٤ – أن يوضح الدارس إلى أى مدى يمارس النصيحة بآدابها.

أهمية الحديث :

هذا الحديث من جوامع الكَلِم التى اختص الله بها رسولنا ﷺ، فهو عبارة عن كلمات موجزة اشتملت على معانٍ كثيرة وفوائد جليلة، حتى إننا نجد سائر السنن وأحكام الشريعة أصولاً وفروعًا داخلة تحته، ولذا قال العلماء : هذا الحديث عليه مدار الإسلام.

مفردات الحديث :

المراد **بالدين** هنا الإسلام والإيمان والإحسان.

«النصيحة» : كلمة يعبَّر بها عن إرادة الخير للمنصوح له.

وقيل النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه، فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسد من خلل الثوب، وقيل إنها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع، شبهوا تخليص القوم من الغش بتخليص العسل من الخلط.

«أئمة المسلمين» حُكَّامهم.

«عامتهم» : سائر المسلمين غير الحكام.

المعنى العام :

١ – **النصيحة لله** : وتكون بالإيمان بالله تعالى، ونفى الشريك عنه، وترك الإلحاد فى صفاته، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن جميع النقائص، والإخلاص فى عبادته، والقيام بطاعته وتَجَنُّب معصيته، والحب والبغض فيه، وموالاة من أطاعه، ومعاداة من عصاه، والتزام المسلم لهذا فى أقواله وأفعاله يعود بالنفع عليه فى الدنيا والآخرة، لأنه سبحانه وتعالى غنى عن نصح الناصحين.

٢ – **النصيحة لكتاب الله** : وتكون بالإيمان بالكتب السماوية المنزَّلة كلها من عند الله تعالى، والإيمان بأن هذا القرآن خاتم لها وشاهد عليها.

وتكون نصيحة المسلم لكتاب ربه عز وجل :

أ – بقراءته وحفظه، لأن فى قراءته طهارةً للنفس وزيادة للتقوى. روى مسلم عن رسول الله ﷺ : **«اقرؤوا القرآن، فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»**. وأما حفظ كتاب الله تعالى فى الصدور، ففيه إعمار القلوب بنور خاص من عند الله.

روى أبو داود والترمذى عن رسول الله ﷺ : **«يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارْتَق، ورتَل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»**.

ب – بترتيله وتحسين الصوت بقراءته.

ج – بتدبر معانيه، وتفهُّم آياته.

د – بتعليمه للأجيال المسلمة، روى البخارى عن رسول الله ﷺ **«خيركم من تعلم القرآن وعلّمه»**.

هـ – بالتفقه والعمل، فلا خير فى قراءة لا فقه فيها، ولا خير فى فقه لا عمل به.

٣ – **النصيحة لرسول الله** : وتكون بتصديق رسالته والإيمان بجميع ما جاء من قرآن وسنة، كما تكون بمحبته وطاعته ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران : ٣١] ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ [النساء : ٨٠]. والنصح لرسول الله بعد موته، يقتضى من المسلمين أن يقرؤوا سيرته فى بيوتهم، وأن يتخلقوا بأخلاقه ﷺ ويتأدبوا بآدابه، ويلتزموا سنته بالقول والعمل، وأن ينفوا عنها تُهَمَ الأعداء والمغرضين.

٤ – **النصيحة لأئمة المسلمين**: وأئمة المسلمين إما أن يكونوا الحكام أو من ينوب عنهم، وإما أن يكونوا العلماء والمصلحين.

فأما حكام المسلمين فيجب أن يكونوا من المسلمين، حتى تجب طاعتهم، قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، ونصيحتنا لهم أن نحب صلاحهم ورشدهم وعدلهم، لا أن نحبهم لأشخاصهم، ونصيحتنا لهم أن نعينهم على الحق ونطيعهم فيه ونُذَكِّرهم به، وننبههم برفق وحكمة ولطف، فإنه لا خير فى أمة لا تنصح لحاكمها، ولا تقول للظالم: أنت ظالم، ولا خير فى حاكم يستذل شعبه ويكممُ أفواه الناصحين، ويصمُّ أذنيه عن سماع كلمة الحق.

وأما العلماء المصلحون، فإن مسئوليتهم فى النصح لكتاب الله وسنة رسوله كبيرة، وتقتضى رد الأهواء المضلة، ومسئوليتهم فى نصح الحكام ودعوتهم إلى الحكم بكتاب الله وسنة رسوله أكبر وأعظم، وسيحاسبهم الله إن هم أغرَوا الحاكم بالتمادى فى ظلمه وغيه بمديحهم الكاذب، وجعلوا من أنفسهم أبواقًا للحكام ومطية لهم، ونصحنا لهم أن نذكرهم بهذه المسئولية الملقاة على عاتقهم.

٥ – **النصيحة لعامة المسلمين**: وذلك بإرشادهم لمصالحهم فى أمر آخرتهم ودنياهم، ومما يؤسف له أن المسلمين قد تهاونوا فى القيام بحق نصح بعضهم بعضاً، وخاصة فيما يقدمونه لآخرتهم، وقصروا جل اهتماماتهم على مصالح الدنيا وزخارفها.. ويجب ألا تقتصر النصيحة على القول، بل يجب أن تتعدى ذلك إلى العمل.

٦ – **أعظم أنواع النصيحة**: ومن أعظم أنواع النصح بين المسلمين: أن ينصح لمن استشاره فى أمره، قال النبى ﷺ: «**إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له**»، ومن أعظم أنواعه أن ينصح أخاه فى غيبته، وذلك بنصرته والدفاع عنه، لأن النصح فى الغيب يدل على صدق الناصح، قال ﷺ: «**إن من حق المسلم على المسلم أن ينصح له إذا غاب**».

أدب النصيحة: وإن من أدب النصح فى الإسلام أن ينصح المسلم أخاه المسلم ويعظه سرًا، وقال الفضيل بن عياض: المؤمن يستر وينصح، والفاجر يَهْتِك ويُعَيِّر.

يستفاد من الحديث:

– أن النصيحة دين وإسلام، وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول.

– النصيحة فرض كفاية، يجزى فيه من قام به ويسقط عن الباقين.

– النصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يُقْبَلُ نُصْحُه، ويُطاع أمره، وأمنَ على نفسه المكروه، فإن خشى على نفسه أذىً فهو فى سَعَة.

التقويم

١ – كيف يكون نصحك لله ؟ اذكر مثالاً لنصيحة لله قمت بها.

٢ – كيف يكون نصحك لكتاب الله، ولرسول الله ﷺ ؟

٣ – كيف يكون نصحك لأئمة المسلمين؟ وكيف يكون نصحك لعامة المسلمين؟

٤ – اذكر ما هى أعظم أنواع النصيحة.

٧ – اذكر بعضًا من آداب النصيحة. وما مدى التزامك بهذه الآداب عند أدائك للنصيحة.

الحديث الثامن

عصمة دماء المسلم

عن ابن عُمَرَ رضى الله عنهما أنَّ رسُول الله ﷺ قال: **«أُمِرْتُ أنْ أقاتِلَ النَّاسَ حتى يَشْهَدُوا أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ وأنَّ مُحَمداً رسولُ الله، ويُقيمُوا الصَّلاةَ، يُؤتُوا الزَّكاةَ، فإذا فَعَلُوا ذلكَ عَصَمُوا منِّى دِماءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ إلا بحَقِّ الإسْلامِ، وحِسابُهُم على الله تعالى»** رواه البخارى ومسلم.

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ – أن يوضح الدارس أهمية الحديث.

٢ – أن يوضح الدارس حرمة دم المسلم وماله.

٣– أن يذكر الدارس الحالات التى يحل فيها دم المسلم.

أهمية الحديث:

هذا الحديث عظيم جداً لاشتماله على المهمات من قواعد دين الإسلام وهى: الشهادة مع التصديق الجازم بأنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة على الوجه المأمور به، ودفع الزكاة إلى مستحقيها.

مفردات الحديث:

«أُمرت» أمرنى الله تعالى

«الناس»: هم عبدة الأوثان والمشركون.

«يقيموا الصلاة»: يأتوا بها على الوجه المأمور به، أو يداوموا عليها.

«يؤتوا الزكاة»: يدفعوها إلى مستحقيها .

«عصموا» حَفِظُوا ومنعوا.

«وحسابهم على الله»: حساب بواطنهم وصدق قلوبهم على الله تعالى، لأنه سبحانه هو المطلع على ما فيها.

المعنى العام: هل الاقتصار على النطق بالشهادتين كافٍ لعصمة النفس والمال؟

من الثابت أن رسول الله ﷺ كان يقبل من كل من جاءه يُريد الإسلام الشهادتين فقط، ويَعْصِم دمه بذلك ويجعله مسلماً.

ففى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال: **«أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله عصم منى ماله ونفسه إلا بحقها، وحسابه على الله عز وجل»** وفى رواية لمسلم: **«حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بى وبما جئتُ به»**.

فإن مجرد النطق بالشهادتينَ يَعصِم الإنسان ويصبح مسلمًا، فإن أقام الصلاة وآتى الزكاة بعد إسلامه، فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم.

– **الإيمان المطلوب**: وفى الحديث دلالة ظاهرة، أن الإيمان المطلوب هو التصديق الجازم، والاعتقاد بأركان الإسلام من غير تردد، وأما معرفة أدلة المتكلمين والتوصل إلى الإيمان بالله بها، فهى غير واجبة، وليست شرطًا فى صحة الإيمان، وهذا رسول الله ﷺ فى حديثه هذا، وفى غيره من الأحاديث، يكتفى بالتصديق بما جاء به، ولم يشترط معرفة الدليل.

«إلا بحقها»: من هذا الحق إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، ومن العلماء من استنبط منه فعل الصيام، ومن حقها أن يُقْتَل المسلم إذا ارتكب محرَّمًا يُوجب القتل، عن رسول الله ﷺ قال: **«لا يَحلُّ دمُ امرئٍ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيِّبُ الزانى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»**.

«وحسابهم على الله»: فالله سبحانه وتعالى يعلم السرائر ويحاسب عليها، فإن كان مؤمنًا صادقًا أدخله الجنة، وإن كان كاذبًا مرائيًا بإسلامه فإنه منافق فى الدَّرْك الأسفل من النار. أما فى الدنيا فإن مهمة الرسول ﷺ التذكير، وفى البخارى ومسلم قال ﷺ لخالد بن الوليد: **«إنى لم أؤمر أن أُنقّب عن قلوب الناس، ولا أشُقّ بطونهم»**.

– **ويرشدنا الحديث**: إلى أن دماء المسلمين وأموالهم مصونة.

التقويم

١ – لا يجوز التعدى على أموال المسلمين ودمائهم، وضح ذلك؟

٢ – هل الاقتصار على النطق بالشهادتين كافٍ لعصمة النفس والمال؟

٣ – (... **فإذا فَعلوا ذَلِكَ عَصَموا منّى دِماءَهُمْ وأمْوالَهُمْ إلا بحَقِّ الإسْلام**) ما المقصود بحق الإسلام؟

٤ – ما المقصود بقوله ﷺ : «**وحسابهم على الله**».

– ماذا تعلمت من هذا الحديث الشريف؟

الحديث التاسع

الأخذُ بالتيَسير وتَركُ التعْسير

عن أبى هُرَيْرةَ عَبْدِ الرَّحمنِ بن صَخْرٍ رضى الله عنه قال : سمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : «**ما نَهيتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنبوهُ، ومَا أَمرْتُكُمْ به فَأْتُوا منْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فإنَّما أهْلَكَ الَّذين منْ قبلِكُمْ كَثْرَة مَسَائِلِهِمْ واخْتلافُهُمْ على أنْبيَائِهِمْ**» رواه البُخَاريُّ ومُسْلِمٌ.

الأهداف الإجرائية السلوكية :

١ – أن يوضح الدارس أهمية الحديث

٢ – أن يذكر الدارس سبب ورود الحديث.

٣ – أن يوضح الدارس أهمية التشديد فى تجنب المنهيات.

٤ – أن يوضح الدارس أسباب هلاك الأمم.

٥– أن يوضح الدارس كيف يطبق هذا الحديث فى حياته.

أهمية الحديث :

إن هذا الحديث ذو أهمية بالغة وفوائد جلى، تجعله جديراً بالحفظ والبحث.

وهو من قواعد الإسلام المهمة، ومن جوامع الكَلِم التى أُعطيها ﷺ، ويدخل فيه ما لا يحصى من الأحكام، وهو حديث عظيم من قواعد الدين وأركان الإسلام، فينبغى حفظه والاعتناء به.

سبب الورود :

سبب ورود هذا الحديث ما رواه مسلم فى صحيحه، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : «**أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجّوا**» فقال رجل : أكُلَّ عام يا رسول الله؟ **فسكت، حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ** : «**لو قلت : نعم لوجبت، ولما استطعتم**». **ثم قال** : «**ذرونى ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه**». وورد أن السائل هو الأقرع بن حابس رضى الله عنه.

مفردات الحديث :

«نهيتكم عنه» : طلبت منكم الكَفَّ عن فعله، **والنهى : المَنْع.**

«فاجتنبوه» : أى اتركوه

«فأتوا» : فافعلوا.

«ما استطعتم» : ما قدرتم عليه وتيسر **لكم فعله دون كبير مشقة.**

«أهلك» : صار سبب الهلاك.

«كثرة مسائلهم» : أسئلتهم الكثيرة، **لا سيما فيما لا حاجة إليه ولا ضرورة.**

المعنى العام :

«ما نهيتكم عنه فاجتنبوه» : لقد ورد النهى فى كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ لمعان عدة، والمراد به هنا التحريم والكراهة :

– **نهى التحريم** :

من أمثلة ذلك : النهى عن الزنا وشرب الخمر وأكل الربا والسرقة وقتل النفس بغير حق.

فمثل هذه المنهيات يجب اجتنابها دفعة واحدة، ولا يجوز للمُكلَّف فعل شىء منها، إلا إذا ألجأته إلى ذلك ضرورة، بقيود وشروط بيّنها شرع الله تعالى المحكم.

– **نهى الكراهة** :

ومن أمثلة ذلك : النهى عن أكل البصل أو الثوم النيْئ، لمن أراد حضور صلاة الجمعة أو الجماعة. فمثل هذه المنهيات يجوز فعلها، سواء دعت إلى ذلك ضرورة أم لا، وإن كان الأليق بحال المسلم التقى اجتنابها، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

التشديد فى اجتناب المنهيات واستئصال جذور الفساد :

يسعى شرع الله عز وجل دائمًا للحيلولة دون وقوع الشر، أو بزوغ بذور الفساد، ولذا نجد الاهتمام بأمر المنهيات ربما كان أبلغ من الاهتمام بالمأمورات، ولا يعنى ذلك التساهل بالمأمورات، وإنما التشديد فى اجتناب المنهيات عامة، والمحرمات على وجه الخصوص، لأن نهى الشارع الحكيم لم يَرِد إلا لما فى المنهى عنه من فساد أكيد وضرر محتم، ولذا لم يُعْذَر أحد بارتكاب شىء من المحرمات، إلا حال الضرورة الملجئة والحاجة المُلحَّة، على ما قد علمت.

ومن هنا يتبين خطأ مسلك الكثير من المسلمين، لا سيما فى هذه الأزمنة، التى شاع فيها التناقض فى حياة الناس، عندما تجدهم يحرصون على فعل الطاعة والواجب، وربما تشددوا فى التزام المندوب، والمستحب، بينما تجدهم يتساهلون فى المنهيات، وربما قارفوا الكثير من المحرمات، فنجد الصائم يتعامل بالربا، والحاجّة المزكية تخرج سافرة متبرجة، معتذرين بمسايرة

الزمن وموافقة الركب. وهذا خلاف ما تقرر فى شرع الله الحكيم، من أن أصل العبادة اجتناب ما حرم الله عز وجل، وطريق النجاة مجاهدة النفس والهوى، وحملها على ترك المنهيات، وإن ثواب ذلك يفوق الكثير من ثواب فعل الواجبات. فهذا رسول الله ﷺ يقول : **«اتق المحارمَ تكُنْ أعبَدَ الناس»**. رواه الترمذى. وهذه عائشة رضى الله عنها تقول : من سره أن يَسبقَ الدائب المجتهد فليَكُفّ عن الذنوب. وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يُسأل عن قوم يشتهون المعصية ولا يعملون بها، فيقول : أولئك قوم امتحن الله قلوبهم للتقوى، لهم مغفرة وأجر عظيم.

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : ليست التقوى قيام الليل وصيام النهار والتخليط فيما بين ذلك، ولكن التقوى أداء ما افترض الله وترك ما حرم الله، فإن كان مع ذلك عمل فهو خير إلى خير.

– **من أسباب هلاك الأمم :**

لقد بين الرسول الكريم ﷺ، أن من أسباب هلاك الأمم وشق عصاها وتلاشى قوتها واستحقاقها عذاب الاستئصال – أحيانًا – أمرين اثنين هما :

كثرة السؤال والتكلف فيه، والاختلاف فى الأمور وعدم التزام شرع الله عز وجل.

لقد نهى الرسول ﷺ أصحابه عامة أن يكثروا عليه من الأسئلة، خشية أن يكون ذلك سببًا فى إثقالهم بالتكاليف، وسدًا لباب التنَطُّع والتكلف والاشتغال بما لا يعنى، والسؤال عما لا نفع فيه إن لم تكن مضرة، روى البخارى عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه : **«كان رسول الله ﷺ ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»**.

التقويم

١ – وضح أهمية الحديث.

٢ – اذكر سبب ورود الحديث.

٣ – وضح تشديد الرسول ﷺ فى تجنب المنهيات.

٤ – وضح أسباب هلاك الأمم التى وردت فى الحديث.

٥ – كان رسول الله ﷺ ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال – ما الحكمة من ذلك كما تفهم من الحديث الشريف؟

٦– وضح واقعك من العمل بهذا الحديث.

٧– وضح كيف تطبق هذا الحديث فى حياتك.

الحديث العاشر

الحَلال الطَّيِّبُ شرطُ القبول

عن أبى هُرَيْرَةَ رَضِى اللهُ عنه قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «**إنَ الله طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلا طَيِّبًا، وإنَّ الله أمَرَ المؤمنينَ بِمَا أمَرَ به المُرْسَلينَ فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾** [المؤمنون: ٥١] وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾** [البقرة: ١٧٢] **ثمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطيلُ السَّفَرَ أشْعثَ أغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّماءِ: يا رَبِّ يا رَبِّ، ومَطْعَمُهُ حَرَامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وغُذِّىَ بالحَرامِ، فأنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ – أن يوضح الدارس أهمية الحديث.

٢ – أن يوضح الدارس المقصود بالعمل الطيب المقبول.

٣ – أن يذكر الدارس أسباب إجابة الدعاء.

٤ – أن يحرص الدارس على أسباب إجابة الدعاء.

٥– أن يوضح الدارس مدى التزامه بتطبيق هذا الحديث.

أهمية الحديث:

هذا الحديث من الأحاديث التى عليها قواعد الإسلام ومبانى الأحكام، وعليه العمدة فى تناول الحلال وتجنب الحرام، وما أعمَّ نفعه وأعظمه فى إيجاد المجتمع المؤمن الذى يحبُّ فيه الفرد لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره لأخيه ما يكره لنفسه، ويقف عند حدود الشرع مكتفيًا بالحلال المبارك الطيب، فيحيا هو وغيره فى طمأنينة ورخاء.

مفردات الحديث: «**إن الله طيب**»: أى طاهر منزه عن النقائص.

«**لا يقبل إلا طيبًا**»: لا يقبل من الأعمال والأموال إلا ما كان خالصًا من المفسدة، أو حلالاً.

«**أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**»: سوَّى بينهم فى الخطاب بوجوب أكل الحلال.

«**أشعث**»: جَعْد شعر الرأس لعدم تمشيطه.

«**أغبر**»: غَيَّر الغبار لون شعره لطول سفره فى الطاعات كحج وجهاد.

«**يمد يديه إلى السماء**»: يرفع يديه إلى السماء داعيًا وسائلاً الله تعالى.

«**فأنى يُستجاب له**»: كيف ومن أين يُستجاب لمن كانت هذه صفته.

المعنى العام:

١ – **الطيب المقبول**: يشمل الأعمال والأموال والأقوال والاعتقادات:

فهو سبحانه وتعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيبًا طاهرًا من المفسدات كلها كالرياء والعجب.

ولا يقبل من الأموال إلا ما كان طيبًا حلالاً.

ولا يصعد إليه من الكلام إلا ما كان طيبًا، قال الله تعالى: **﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾** [فاطر: ١٠].

والمؤمن كله طيب؛ قلبه ولسانه وجسده بما يسكن فى قلبه من الإيمان، وظهر على لسانه من الذكر، وعلى جوارحه من الأعمال الصالحة التى هى ثمرة الإيمان.

– **كيف يكون العمل مقبولاً طيبًا**: إن من أعظم ما يجعل عمل المؤمن طيبًا مقبولاً طيبُ مَطْعَمه وحِلّه، وفى الحديث دليل على أن العمل لا يُقبل إلا بأكل الحلال، وأن الحرام يُفسد العمل ويمنع قَبوله.

وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾** وقال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾**. ومعنى هذا أن الرسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبات التى هى الحلال وبالعمل الصالح.

«لا يقبل إلا طيبًا» فالمقصود هنا نفى الكمال المستوجب للأجر والثواب فى هذه الأعمال، مع أنها مقبولة من حيث سقوط الفرض بها من الذمة.

أسباب إجابة الدعاء :

إطالة السفر : ومجرد السفر يقتضى إجابة الدعاء، فقد روى أبو داود وابن ماجه والترمذى من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : «**ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده**» . والانكسار من أعظم أسباب إجابة الدعاء.

مد اليدين إلى السماء : وهو من آداب الدعاء، روى الإمام أحمد عن النبى ﷺ : «**إن الله تعالى حَيىٌّ كريم، يستحى إذا رفع الرجلُ إليه يديه أن يَرُدَّهما صفراً خائبتين**» .

الإلحاح على الله عز وجل : وذلك بتكرير ذكر ربوبيته سبحانه وتعالى .

– **ما يمنع إجابة الدعاء** : أشار ﷺ فى هذا الحديث إلى أن التوسع فى الحرام أكلاً وشرباً ولبساً وتغذية يمنع إجابة الدعاء .

– **ما يستفاد من الحديث :**

– يرشد الحديث إلى الحث على الإنفاق من الحلال، والنهى عن الإنفاق من غيره .

– أن من أراد الدعاء لزمه أن يعتنى بالحلال فى مأكله وملبسه حتى يُقبل دعاؤه .

– يَقْبَل الله من المؤمنين الإنفاق من الطيب ويُنَمِّيه، ويُبَارِك لهم فيه .

التقويم

١ – وضح أهمية الحديث .

٢ – وضح المقصود بالعمل الطيب المقبول .

٣ – اذكر أسباب إجابة الدعاء .

٤ – كيف يكون العمل مقبولاً طيباً ؟

٥ – وضح مدى التزامك بتطبيق هذا الحديث فى حياتك الشخصية .

الفصل الثالث

العقيدة

من أركان الإيمان

الركن الثانى : الإيمان بالملائكة

الأهداف الإجرائية السلوكية :

أ – أن يوضح المقصود بالإيمان بالملائكة .

ب – أن يوضح من هم الملائكة وما حقيقتهم .

ج – أن يعرف حكم إنكار الملائكة .

أ – المقصود بالإيمان بالملائكة :

المقصود به الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، وأنهم قائمون بوظائفهم التى أمرهم الله بالقيام بها .

فهم نوع من مخلوقات الله عز وجل، لا يصلح إيمان عبد حتى يؤمن بوجودهم وبما ورد فى حقهم من صفات وأعمال، فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ولا تحريف .

ويجب على كل مُكلَّف شرعًا الإيمان بالملائكة ، وذلك بأن يعتقد اعتقادًا جازمًا بأنهم موجودون، وبأنهم مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وبأنهم قادرون على التشكل بالأشكال الحسنة المختلفة، وهم لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة، وهم لا يتزوجون، ولا يأكلون ، ولا يشربون، ولا ينامون ، وهم أنواع كثيرة: فمنهم حملة العرش، ومنهم رسل الوحى، ومنهم الكتبة، والحفظة، والموكلون بقبض الأرواح ورئيس هؤلاء مَلَك الموت، والموكلون بالأرزاق ورئيسهم ميكائيل، والموكلون بالجنة ورئيسهم رضوان، والموكلون بالنار ورئيسهم مالك، ومنهم القائمان بالسؤال فى القبر، ومنهم ملائكة ذُكِرَت أسماؤهم فى كتاب الله تعالى، هم جبريل، وميكائيل ، ومالك، فالواجب علينا بالنسبة لمن ذُكِرَ بنوعه أن نصدق بالنوع الذى ذكر، كحملة العرش وغيرهم، ومن ذكر بشخصه وجب علينا التصديق بشخصه، كجبريل وميكائيل ومالك، ويجب الإيمان بمن ذكروا فى السنة الصحيحة كذلك، قال تعالى : ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

ب- من أى شيء خلقوا وما حقيقتهم؟

ورد فى الحديث الصحيح أنهم خلقوا من نور، فعن عائشة -رضى الله عنها- أن النبى ﷺ قال: **«خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»** رواه مسلم، أما حقيقتهم، فالله أعلم بها؛ لأن القرآن والسنة لم يذكرا شيئًا عن حقيقتهم، وكل ما ذكر أن لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع، وورد أن جبريل له ستمائة جناح، كما ثبت بالدليل القطعى أنهم أقوياء جدًا، فهم الذين حملوا قُرَى قوم لوط وقلبوها ومنهم حملة العرش، وبصيحة من مَلَك هلك قوم صالح، وبنفخة فى الصور من الملك يصعق من فى السموات والأرض إلا من شاء الله، وبنفخة أخرى يُبعث الخلائق أجمعون.

ج- ما هو حكم إنكار الملائكة؟

دل الكتاب والسنة والإجماع على وجود الملائكة، فمنكر وجودهم كافر. قال تعالى: **﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾** [النساء: ١٣٦].

●● تطبيقات عملية:

١- احرص على الاستقامة على طاعة الله وتذكر دائمًا: **﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾** [الانفطار: ١٠-١٢].

٢- تأمل كل كلمة تلفظ بها لأنها لك أو عليك وتذكر: **﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾** [ق: ١٦].

٣- احرص على حضور مجالس الذكر فالملائكة يتلمسون حلق الذكر.

٤- أكثر من الذكر والتسبيح لله حتى تتشبه بالملائكة، فهم فى طاعة وتسبيح دائم لله.

٥- احرص على صلاة الجماعة وخاصة الفجر والعصر؛ لأن الملائكة يجتمعون فيها.
روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادى؟ فيقولون: تركناهم**

وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون».

٦- احرص على طلب العلم. فقد روى أبو داود عن أبى الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع».**

٧- احرص على تعليم الناس الخير فـ**«إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض ليصلون على معلمى الناس الخير»** رواه الترمذى عن أبى أمامة.

التقويم

١- وضح المقصود بالإيمان بالملائكة.

٢- وضح من هم الملائكة وما حقيقتهم.

٣- ما هو حكم إنكار الملائكة؟

الركن الثالث : الإيمان بكتب الله

الأهداف الإجرائية السلوكية :

١- أن يوضح المقصود بالإيمان بالكتب .

٢- أن يذكر بعض مزايا القرآن الكريم .

٣ – أن يوضح بعض أوجه الإعجاز فى القرآن الكريم .

١- المقصود بالإيمان بكتب الله :

الاعتقاد الجازم بأن الله أنزل على رسله كتبًا فيها أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وما شاء من كلامه، وأفضل هذه الكتب على الإطلاق القرآن الكريم المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام، أما الكتب الأخرى التى أخبرنا الله بها فى القرآن فهى :

التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، ثم الإنجيل الذى أنزل على عيسى عليه السلام، ثم الزبور وهو كتاب داود عليه السلام .

كما نؤمن بأن الله أنزل صحفًا، المذكور منها فى القرآن صحف إبراهيم وموسى، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِى أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً** ﴾ [النساء : ١٣٦] . وقد أنزل الله عز وجل تلك الكتب عن طريق الوحى؛ والوحى هو الصلة بين الله تعالى وبين رسله وأنبيائه، كى يوصل الله إليهم ما يريد إيصاله من علم وحكم وأمر ونهى وإرشاد، وغير ذلك، قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

ويجب الإيمان بأن الكتب السابقة حصل فيها تحريف وتغيير وتبديل، أما القرآن الكريم فهو كتاب محفوظ لم يُغيَّر فيه حرف واحد، وذلك أن الكتب السابقة وُكِّل حفظها إلى أهلها فلم يحفظوها، أما القرآن الكريم فإن الله عز وجل هو الذى تولى حفظه، قال تعالى فى القرآن : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر : ٩] .

ب- من مزايا القرآن الكريم :

وللقرآن الكريم مزايا تميز بها عن الكتب السماوية التى تقدمته وهى :

أ- أنه تضمن خلاصة التعاليم الإلهية التى جاءت بها الكتب السابقة، وجمع كل ما كان متفرقًا فى تلك الكتب من الحسنات والفضائل، وجاء مهيمنًا ورقيبًا، يقر ما فيها من حق ويبين ما دخل عليها من تحريف وتغيير، قال تعالى : ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ** ﴾ [المائدة : ٤٨] .

ب- أن الله سبحانه وتعالى أنزله لكل البشر فى كل زمان ومكان وليس لقوم خاصة، قال تعالى : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً** ﴾ [الفرقان : ١] .

جـ- إن القرآن هو الكتاب الربانى الوحيد الذى تعهد الله بحفظه، فقال عز من قائل : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر : ٩] . ذلك لأن تعاليم القرآن هى كلمة الله الأخيرة لهداية البشر أراد الله لها أن تبقى على الدهر وتخلد على الزمن، فصانها من أن تمتد إليها يد التحريف أو التغيير أو التبديل ﴿ **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت : ٤١ ، ٤٢] .

د- والله يريد لكلمته أن تذاع وتصل إلى العقول والأسماع وتتحول إلى واقع عملى، ولا يتم إلا إذا كانت ميسرة للذكر والفهم ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾ [القمر : ١٧] .

٣- إعجاز القرآن الكريم :

ومن أوجه الإعجاز :

– **الوجه الأول** : حسن تأليفه وتناسق كلماته، وفصاحته، ووجوه إيجازه، وبلاغته الخارقة عادة العرب، تنزيل من حكيم حميد، أُحْكِمَتْ آياتُه، وفُصِّلَت كلماته، وبَهرَت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول .

– **الوجه الثانى** : صورة نظمه العجيب، والأسلوب والغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها، فإن الأسلوب الذى جاء القرآن عليه، ووقفت مقاطع آيه عليه، وانتهت فواصل كلماته إليه، لم يوجد قبله ولا بعده نظير له، ولا استطاع أحد

مماثلة شيء منه، لذلك لما سمع عتبة بن ربيعة القرآن – وهو أشد الناس عداوة له – قال: يا قوم، قد علمتم أنى لم أترك شيئًا إلا وقد علمته وقرأته وقلته، والله لقد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، وما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة.

– **الوجه الثالث**: الإخبار عن الأمور التى تقدمت من نشأة الحياة إلى وقت نزول القرآن على محمد ﷺ، وهو النبى الأمى الذى ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه، فأخبر بما كان من قصص الأنبياء مع أممهم، والقرون الخالية فى دهرها، وأجاب عن تحديات أهل الكتاب حين سألوه عن قصة أهل الكهف، وشأن موسى والخضر عليهما السلام، وحال ذى القرنين، وغير ذلك.

– **الوجه الرابع**: الإخبار بالمغيبات فى المستقبل التى لا يمكن الاطلاع عليها إلا بالوحى، وهى التى أخبر عنها القرآن بأنها ستقع، فوقعت كما أخبر، ولم يتخلف منها شيء، من ذلك قوله تعالى: ﴿**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ**﴾ [الفتح: ٢٧]. ومنه قوله عز وجل: ﴿**غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ**﴾ [الروم: ٢– ٤].

– **الوجه الخامس**: كونه آية باقية، ومعجزة خالدة، لا يؤثر فيها مر السنين، ولا يقلل من شأنها توالى الأحقاب إلى يوم القيامة، وهو مع بقائه وخلوده تكفل الله بحفظه وصيانته فقال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩]، وقال عز وجل: ﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت: ٤٢].

– **الوجه السادس**: جمعه لعلوم ومعارف لا عهد للعرب بها عامة، ولا لمحمد ﷺ قبل نبوته خاصة، ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم، ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم. وصدق الله القائل: ﴿**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ [الزمر: ٢٧].

– **الوجه السابع**: الإعجاز العلمى، حيث يتضح لقارئ كتاب الله عز وجل المتصل بالعلوم الإنسانية والكونية وغيرها، أنه ما من حقيقة علمية يصل العقل البشرى إليها، إلا ويجد لها أصلاً فى كتاب الله تعالى عن طريق الإشارة أو العبارة. (شرائط الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم للشيخ الزندانى، د. زغلول النجار).

وهذا الوجه لا آخر له، فكلما اتسعت علوم البشر يتبين للعلماء سعة أوجه إعجاز القرآن الكريم وروعته وجلاله، وصدق الله عز وجل القائل: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [فصلت: ٥٣].

– **الوجه الثامن**: الروعة التى تلحق قلوب سامعيه، والهيبة التى تعتريهم عند تلاوته لقوة تأثيره وزيادة خطره. ولذلك كان وقع القرآن على المكذبين أعظم وأخطر، وكانوا يخشون تأثيره على أنفسهم ونسائهم وأولادهم، وكانوا يقولون – خوفًا من تأثيره عليهم: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾ [فصلت: ٢٦]. وأما المؤمنون فإن روعة كتاب الله تعالى وقوة تأثيره فى نفوسهم وهيبته فى قلوبهم جعلتهم يعشقون هذا الكتاب الإلهى، ويهجرون ما سواه من أشعار وخطب، ويعيشون مع القرآن الذى أخذ أعوادهم رطبة كَنَبْتِ الربيع، ما السر فى ذلك كله؟ وما هو الروح الجديد الذى سرى فى دماء المؤمنين؟ وما هو السحر الذى استولى على نفوس المسلمين؟ إنه كتاب الله، الذى جعله الله يفعل ذلك كله، وهو القائل فيه: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [الزمر: ٢٣]. وهو القائل: ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الحشر: ٢١].

التقويم

١– وضح المقصود بالإيمان بالكتب.

٢– اذكر بعض مزايا القرآن الكريم.

٣– وضح بعض أوجه الإعجاز فى القرآن الكريم.

الفصل الرابع

مواقف من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

اختلاء الرسول ﷺ فى غار حراء

الأهداف الإجرائية السلوكية :

١- أن يوضح الدارس اختلاءه ﷺ فى غار حراء .

٢- أن يوضح الدارس بعض فوائد الخلوة مع الله عز وجل .

٣- أن يطبق الدارس بعض الوسائل العلمية التى يتحقق بها الخلوة مع الله عز وجل .

٤- أن يذكر الدارس بعض الفوائد التى استشعرها من تحقيقه للخلوة مع الله عز وجل .

لما أخذت سنّه ﷺ تدنو نحو الأربعين، نشأ لديه حب للعزلة بين الفترة والأخرى، وحبب الله إليه الاختلاء فى غار حراء - وحراء جبل يقع فى الجانب الشمالى الغربى من مكة - فكان يخلو فيه ويتعبد فيه الليالى ذوات العدد، فتارة عشرة وتارة أكثر من ذلك إلى شهر، ثم يعود إلى بيته فلا يكاد يمكث فيه قليلاً حتى يتزود من جديد لخلوة أخرى، وهكذا إلى أن جاءه الوحى وهو فى إحدى خلواته تلك .

الخلوة :

إن لهذه الخلوة التى حببت إلى قلب الرسول ﷺ فوائد كبرى فى حياة المسلمين عامة والدعاة إلى الله خاصة منها :

١- **تربية محبة الله عز وجل فى القلب** : فلا يكفى مجرد الاقتناع العقلى .. وإلا لكان المستشرقون فى مقدمة المؤمنين المحبين لله ورسوله .

أو هل سمعت بأحد العلماء ضحى بروحه إيمانًا منه بقاعدة رياضية أو مسألة من مسائل الجبر؟! إنما الوسيلة إلى محبة الله عز وجل - بعد الإيمان به :

أ- كثرة التفكر فى آيات عظمته وآلاء فضله وإحسانه .

ب- الإكثار من ذكره سبحانه بالقلب واللسان .

جـ- المحافظة على الفرائض والإكثار من النوافل، وهذا كله إنما يتيسر بالخلوة فترات متكررة من الزمن .

٢- **معالجة آفات النفس ومحاسبتها** : فإن للنفس الإنسانية أمراضًا لا يقى شرها إلا

الخلوة عن الناس ومحاسبتها، والنظر فى دوافعها بصدق : فالكبر والعجب والرياء والحسد وحب الدنيا، كلها آفات تتحكم وتتغلغل فى أعماق القب وتطفئ أنواره وتعميه رغم ما قد يتحلى به ظاهره من الأعمال الصالحة والعبادات الكثيرة، بل الاشتغال بدعوة الآخرين وإرشادهم، وفى الخلوة وعند التأمل يكتشف الإنسان حقيقة نفسه وفقرها إلى الله وحاجتها إلى معونته فى كل لحظة، ويكتشف ضعف الناس وعجزهم فى الحقيقة عن أن ينفعوه أو يضروه وعدم جدوى مدحهم أو ذمهم، وغير ذلك من الحقائق فيخلص، ويتواضع، و . . وتنكشف آفات نفسه فى أضواء الحقائق التى تكشفها له الخلوة المتكررة .

اقتراحات عملية :

وهذا كله إنما يتم بالابتعاد عن شواغل الدنيا وضوضائها وبهرجها الزائف فترات متقطعة من الزمن، ومتكررة على مدار اليوم والليلة والشهور والعام مثل :

١- الاعتكاف فى المسجد العشر الأواخر من رمضان أو ليلة كل شهر .

٢- وقت الاستغفار فى ثلث الليل الأخير كل ليلة .

٣- وقت أذكار الصباح والمساء .

٤- جلسة المحاسبة للنفس قبل النوم وقراءة أذكار النوم .

٥- عند التبكير للصلاة فى المسجد والجلوس فى انتظارها (التهجير) .

٦- فى جلسة ختام الصلاة والدعاء .

٧- بل حتى فى لحظات سماع الأذان وترديده خلف المؤذن . كلها أوقات من شأنها قطع استرسال القلب مع الدنيا وضبط توجيه (بوصلته) إلى الله عز وجل من جديد .

التقويم

١- وضح اختلاءه ﷺ فى غار حراء .

٢- وضح بعض فوائد الخلوة مع الله عز وجل .

٣- اذكر بعض الوسائل العملية التى يتحقق بها الخلوة مع الله عز وجل .

٤- اذكر بعض الوسائل العملية التى قمت بها شخصيًا والتى تنصح بها، وحققت من خلالها الخلوة مع الله عز وجل . وماذا وجدت فى نفسك من ثمار وآثار تلك الخلوة ؟ .

بدء الوحى

الأهداف الإجرائية السلوكية :

١- أن يذكر الدارس مقدمات نزول الوحى .

٢- أن يذكر الدارس موقف السيدة خديجة (رضى الله عنها) عند بدء نزول الوحى .

٣- أن يذكر الدارس ما قاله ورقة بن نوفل عندما أخبره رسول الله ﷺ بما حدث له .

٤- أن يستخلص الدارس العبر والعظات .

روى الإمام البخارى عن السيدة عائشة تصف كيفية بدء الوحى وتقول : أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء .

فجاءه الملك فقال له اقرأ : فقال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذنى وغطنى حتى بلغ منى الجهد فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذنى وغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ [العلق : ١-٥] .

صفات من لا يخزيهم الله أبدًا :

فرجع رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال : زملونى، زملونى، فزملوه، حتى ذهب عنه الرَّوْع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : **لقد خشيت على نفسى**، فقالت خديجة : كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل، وتُكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق .

شهادة عالم وسُنَّة ماضية !

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل، وكان بن عم خديجة، وكان امرأً

قد تنصر فى الجاهلية وكان يكتب من الإنجيل فى العبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمى، فقالت له خديجة يا بن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس (أى جبريل أو الوحى) الذى نزل على موسى. يا ليتى فيها جذعًا (شابًا قويًا) ليتنى أكون حيًا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجىّ هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك لأنصرنّك نصرًا مؤزرًا، ثم لم يلبث ورقة أن توفى وفتر الوحى.

وروى البخارى عن جابر بن عبد الله: قال ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحى: **(بينما أنا أمشى إذ سمعت صوتًا من السماء فرفعت بصرى، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملونى زملونى، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ - إلى قوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، فحمى الوحى وتتابع)** رواه البخارى.

أما مدة فترة الوحى فاختلفوا فيها على عدة أقوال، والصحيح أنها كانت أيامًا. وقد روى ابن سعد عن ابن عباس ما يفيد ذلك. (الرحيق المختوم - صفى الرحمن المباركفورى).

التقويم

١- لابد للمؤمن من فترات يخلو فيها مع نفسه يحاسبها؟ وضح ذلك، وما هو شعورك إذا وجدت نفسك مقصرًا؟

٢- لابد للمومن من صفات حتى لا يخزيه الله؟ وضح هذه الصفات، و ما هى الصفات التى ترى نفسك فى حاجة إلى استكمالها؟

٣- تدبر فى قول ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ... وبماذا شعرت وأنت تقرأ قوله: «ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك»؟

٤- استخلص العبر والعظات التى خرجت بها من حادث بدء نزول الوحى على رسول الله (ﷺ).

الدعوة سرًا

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١- أن يوضح الدارس المقصود بالدعوة سرًّا

٢- أن يوضح الدارس أهمية لقاءات التربية فى دار الأرقم.

٣- أن يذكر الدارس اسم أول من دخلوا فى الإسلام

٤- أن يوضح الدارس العبر المستفادة من هذا المقطع.

بدأ النبى ﷺ يستجيب لأمر الله، فأخذ يدعو إلى عبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأصنام، ولكنه كان يدعو إلى ذلك سرًا حذرًا من وقع المفاجأة على قريش التى كانت متعصبة لشركها ووثنيتها، فلم يكن عليه الصلاة والسلام يظهر الدعوة فى المجالس العمومية لقريش ولم يكن يدعو إلاّ من كانت تشده إليه صلة قرابة أو معرفة سابقة.

أوائل الأوائل:

وكان فى أوائل من دخل الإسلام من هؤلاء خديجة بنت خويلد رضى الله عنها، وعلى بن أبى طالب، وزيد بن حارثة مولى النبى عليه الصلاة والسلام ومتبناه، وأبو بكر بن أبى قحافة، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص... الذين دعاهم أبو بكر الصديق، غيرهم رضى الله عنهم جميعًا.

لقاءات التربية فى دار الأرقم:

كان هؤلاء يلتقون بالنبى سرًا، وكان أحدهم إذا أراد أن يصلى أو يؤدى عبادة من العبادات ذهب إلى شعاب مكة يستخفى فيها عن أنظار قريش. ثم لما زاد الذين دخلوا فى الإسلام على الثلاثين - ما بين رجل وامرأة - اختار لهم رسول الله ﷺ دار أحدهم، وهو الأرقم بن أبى الأرقم، ليلتقى بهم فيها للتعليم والتربية ودراسة أمور الدعوة، وكانت حصيلة الدعوة فى هذه الفترة ما يقارب الأربعين رجلا وامرأة، دخلوا فى الإسلام، عامتهم من الفقراء والأرقاء وممن لا شأن له بين قريش.

وكانت السرية حرصًا على الدعوة لا خوفًا على النفس: لا ريب أن تكتم النبى ﷺ فى دعوته إلى الإسلام، خلال الثلاث السنوات الأولى، لم يكن بسبب الخوف على نفسه، لأن الله عز وجل لو أمره من أول يوم أن يصدع بالدعوة بين الناس علنًا، لما توانى عن ذلك ساعة، ولو كان يتراءى له فى ذلك مصرعه.

ولكن الله عز وجل ألهمه أن يبدأ الدعوة، فى فترتها الأولى، بسرية وتكتم، وأن يلقى بها إلى من يغلب على ظنه أنه سيستجيب لها ويؤمن بها، تعليمًا للدعاة من بعده، على أن يركن فى كل ذلك على الاعتماد والاتكال على الله وحده، حتى لا يخدش أصل الإيمان بالله تعالى.

وبناءً على ذلك فإنه يجوز لأصحاب الدعوة الإسلامية، فى كل عصر أن يستعملوا المرونة فى كيفية الدعوة – من حيث التكتم والجهر – حسبما يقتضيه الظرف وحال العصر الذى يعيشون فيه، وهى مرونة حددتها الشريعة الإسلامية، اعتمادًا على واقع سيرته ﷺ، ضمن الأشكال أو المراحل الأربع التى سبق ذكرها، على أن يكون النظر فى كل ذلك إلى مصلحة المسلمين ومصلحة الدعوة الرسلامية.

ومن أجل هذا أجمع جمهور الفقهاء على أن المسلمين إذا كانوا من قلة العدد أو ضعف العدة بحيث يغلب على الظن أنهم سيقتلون من غير أى نكاية (تأثير) فى أعدائهم، فينبغى أن تقدم هنا مصلحة حفظ النفس، لأن المصلحة المقابلة وهى مصلحة حفظ الدين موهومة أو منفية الوقوع.

والحقيقة أن تقديم مصلحة النفس هنا، من حيث الظاهر فقط، أما من حيث حقيقة الأمر ومرماه البعيد، فإنها فى الواقع مصلحة دين، إذ المصلحة الدينية تقتضى – فى مثل هذه الحال – أن تبقى أرواح المسلمين سليمة لكى يتقدموا ويجاهدوا فى الميادين المفتوحة الأخرى، وإلا فإن هلاكهم يعتبر إضرارًا بالدين نفسه.

لماذا يستجيب الضعفاء والفقراء أولاً؟ وتحدثنا السيرة أن الذين دخلوا فى الإسلام، فى هذه المرحلة، كان معظمهم خليطًا من الفقراء والضعفاء والأرقاء، فما الحكمة فى ذلك؟ وما السر فى أن تتأسس الدولة الإسلامية على أركان مثل هؤلاء الناس؟

والجواب: أن هذه الظاهرة هى الثمرة الطبيعية لدعوة الأنبياء فى فترتها الأولى.

والسر فى ذلك: أن حقيقة هذا الدين الذى بعث الله به عامة أنبيائه ورسله، إنما هى الخروج من سلطان الناس وحكمهم إلى سلطان الله وحكمه وحده، وهى حقيقة تخدش أول ما تخدش ألوهية المتألهين وحاكمية المتحكمين وسطوة المتزعمين، وتناسب أول ما تناسب حالة المستضعفين والمستذلين والمستعبدين، فيكون رد الفعل أمام الدعوة إلى الإسلام لله وحده هو المكابرة والعناد من أولئك المتألهين والمتحكمين، والإذعان والاستجابة من هؤلاء المستضعفين، وانظر، فإن هذه الحقيقة تتجلى لك بوضوح فى الحديث الذى دار بين رستم قائد الجيش الفارسى فى واقعة القادسية، وربعى بن عامر الجندى البسيط فى جيش سعد بن أبى وقاص، فقد قال له رستم: ما الذى دعاكم إلى حربنا والولوع بديارنا؟ فقال: جئنا لنخرج مَن شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ثم نظر إلى صفوف الناس الراكعين عن يمين رستم وشماله، فقال متعجبًا: «لقد كانت تبلغنا عنكم الأحلام، ولكنى لا أرى قومًا أسفه منكم، إننا معشر المسلمين لا يستعبد بعضنا بعضًا، ولقد ظننت أنكم تتواسون كما نتواسى، وكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب لبعض..».

فالتفت الدهماء المستضعفون إلى بعضهم يتهامسون: صدق والله العربى...

أما القادة والرؤساء فقد وجدوا فى كلام ربعى هذا ما يشبه الصاعقة أصابت كيانهم فحطمته، وقال بعضهم لبعض: «لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا تنزع (تميل) إليه».

التقويم

١– لقد حرص الرسول على جمع المؤمنين به فى دار الأرقم بن أبى الأرقم، فى تصورك ما أهمية هذه اللقاءات؟ وكيف تستفيد منها؟

٢– «نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده» من قائل هذه العبارة؟ بماذا تشعر وأنت تقرأها؟ وعلام تدل؟.

٣– اذكر أوائل من آمنوا بالرسول ﷺ؟ هل لاحظت أن معظمهم من الشباب؟ ماذا تستفيد من ذلك؟

٤– لقد بدأ الرسول بدعوة أقاربه، علام يدل ذلك؟ وماذا تفعل أنت مع أقاربك؟

٥– اذكر الدروس التى استفدتها شخصيًا من دراستك لهذا المقطع من سيرة الرسول ﷺ.

الجهر بالدعوة

الأهداف الإجرائية السلوكية :

١- أن يوضح الدارس موقف قريش من الجهر بالدعوة.

٢- أن يوضح الدارس كيف بدأ الرسول ﷺ الجهر بالدعوة.

٣- أن يستخلص الدارس العبر والدروس من هذا المقطع.

٤- أن يوضح الدارس إلى أى مدى استفاد هو شخصياً من هذه العبر والدروس.

قال ابن هشام: ثم دخل الناس فى الإسلام أرسالا من النساء والرجال حتى فشى ذكر الإسلام بمكة وتُحدث به، وكان الزمن بين ما أخفى رسول الله أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين من مبعثه.

وحينئد بدأ رسول الله ﷺ بتنفيذ أمر ربه، فاستجاب لقوله تعالى **﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾** [الحجر: ٩٤] بأن صعد إلى جبل الصفا فجعل ينادى : يا بنى فهر، يا بنى عدىّ، حتى اجتمعوا، فجعل الذى لم يستطع أن يخرج يرسل رسولا لينظر: ما هو؟ فقال النبى ﷺ : **أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقىّ**؟ قالوا :ما جربنا عليك كذبًا، قال: **فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد،** فقال أبو لهب تبًا لك سائر اليوم.. ألهذا جمعتنا؟ فنزل قوله تعالى: **﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾** . ثم نزل الرسول ﷺ فاستجاب لقوله تعالى: **﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾** [الشعراء: ٢١٤] بأن جمع من حوله ذويه وأهل قرابته وعشيرته، فقال: يا بنى كعب بن لؤى: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى مرة بن كعب: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى عبد شمس: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى عبد مناف: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى عبد المطلب: أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة: أنقذى نفسك من النار، فإنى لا أملك لك من الله شيئًا غير أن لكم رحمًا سأبلّها ببلالها.

وكان رد فعل قريش أمام جهره بالدعوة، أن أدبروا عنه وتنكروا لدعوته معتذرين بأنهم لا يستطيعون أن يتركوا الدين الذى ورثوه عن آبائهم، كما قال الله عز وجل فى

حقهم: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾** [البقرة: ١٧٠].

فلما عاب آلهتهم، وسفه أحلامهم، وجرّ اعتذارهم عن تمسكهم بعبادة الأصنام بأنها تقاليد آبائهم وأجدادهم، إلى وصف آبائهم بعدم العقل، أعظموا الأمر، وناكروه، وأجمعوا خلافه وعداوته، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام، وإلا عمه أبو طالب الذى حدب عليه، ومنعه، وقام دونه.

الأهل والعشيرة .. أولاً:

سؤال: لماذا أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يتوجه بدعوة خاصة لأهله وأقاربه؟

والجواب: إن فى هذا إلماحًا إلى درجات المسئولية التى تتعلق بكل مسلم عمومًا وأصحاب الدعوة خصوصاً.

فأدنى درجة فى المسئولية: هى مسئولية الشخص عن نفسه، ومن أجل إعطاء هذه الدرجة حقها استمرت فترة ابتداء الوحى تلك المدة الطويلة التى رأيناها، حتى يطمئن محمد ﷺ إلى أنه نبى مرسل، وأن ما ينزل عليه إنما هو وحى من الله عز وجل، فيؤمن هو بنفسه أولاً ويوطن ذاته لقبول كل ما سيتلقاه من مبادئ ونظم وأحكام.

أما الدرجة التى تليها، فهى مسئولية المسلم عن أهله وذوى قرباه، وتوجيهاً إلى القيام بحق هذه المسئولية خصص الله الأهل والأقارب بضرورة الإنذار والتبليغ بعد أن أمر بعموم التبليغ والجهر به، وهذه الدرجة من المسئولية يشترك فى ضرورة تحمل أعبائها كل مسلم صاحب أسرة أو قربى، وليس من اختلاف بين دعوة الرسول فى قومه ودعوة المسلم فى أسرته بين أقاربه، إلا أن الأول يدعو إلى شرع جديد منزل عليه من الله تعالى، وهذا يبلغ عنه وينطق بلسانه.

أما الدرجة الثالثة، فهى مسئولية العالم والداعى عن حيه أو بلدته، ومسئولية الحاكم عن دولته وقومه.

التقويم

١– وضح أهمية الجهر بالدعوة؟

٢– القدوة والالتزام من أفضل وسائل الجهر بالدعوة، وضح ذلك؟

٣– **«وأنذر عشيرتك الأقربين»** مذا تستفيد من هذا النداء؟ وضح ذلك بمواقف عملية مررت بها؟

٤– استخلص العبر المستفادة من هذا المقطع.

٥– وضح إلى أى مدى استفدت من دراستك لهذا المقطع من سيرة الرسول ﷺ.

أساليب شتى لمجابهة الدعوة

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١– أن يُعَدِّد الدارس أساليب قريش فى مواجهة الدعوة.

٢– أن يوضح الدارس أساليب قريش فى مواجهة الدعوة.

٣– أن يربط الدارس بين وسائل مواجهة الدعوة قديما وحديثًا.

٤– أن يستخلص الدارس العبر والدروس من هذا المقطع.

ولما رأت قريش أن محمداً ﷺ لا يصرفه عن دعوته تكذيب ولا إعراض، فكروا مرة أخرى، واختاروا لقمع هذه الدعوة أساليب، تتلخص فيما يأتى:

١– **السخرية والتحقير، والاستهزاء والتكذيب**: قصدوا بها تخذيل المسلمين، وتوهين قواهم المعنوية، فرموا النبى ﷺ بتهم هازلة، وشتائم سفيهة، فكانوا ينادونه بالمجنون ﴿**وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**﴾ [الحجر: ٦]، ويصفونه بالسحر والكذب: ﴿**وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ**﴾ [ص: ٤]، وكانوا يشيعونه ويستقبلونه بنظرات ملتهمة ناقمة، وعواطف منفعلة هائجة ﴿**وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ**﴾ [القلم: ٥١]، وكان إذا جلس وحوله المستضعفون من أصحابه، استهزأوا بهم، وقالوا: هؤلاء جلساؤه ﴿**مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا**﴾ [الأنعام: ٥٣]، قال تعالى: ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ**﴾ [الأنعام: ٥٣]، وكانوا كما قص الله علينا: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ**﴾ [المطففين: ٢٩–٣٣].

٢– **تشويه تعاليمه وإثارة الشبهات**، وبعث الدعايات الكاذبة، ونشر الإيرادات الواهية حول هذه التعاليم، وحول ذاته وشخصيته، والإكثار من كل ذلك بحيث لا يبقى للعامة مجال فى تدبر دعوته، فكانوا يقولون عن القرآن: ﴿**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾ [الفرقان: ٥]، ﴿**إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ**﴾

[الفرقان: ٤]، وكانوا يقولون: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وكانوا يقولون عن الرسول ﷺ: ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، وفى القرآن نماذج كثيرة للردود على إيراداتهم بعد نقلها أو من غير نقلها.

٣- معارضة القرآن بأساطير الأولين، وشَغْل الناس بها عنه، فقد ذكروا أن النضر ابن الحارث قال مرة لقريش: يا معشر قريش والله لقد نزل بكم أمر ما أوتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلامًا حدثًا أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثًا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به، قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم: كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر، لا والله ما هو بشاعر، وقلتم مجنون، وقد رأينا الجنون فما هو بخنقه، ولاوسوسته، ولا تخليطه، يا معشر قريش فانظروا فى شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم.

ثم ذهب النضر إلى الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم اسبنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسًا للتذكير بالله والتحذير من نقمته خلفه النضر، ويقول: والله ما محمد بأحسن حديثًا منى، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم اسبنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثًا منى.

وتفيد رواية ابن العباس أن النضر كان قد اشترى قينات (مغنيات)، فكان لا يسمع برجل مال إلى النبى ﷺ إلا سلط عليه واحدة منها، تطعمه وتسقيه، وتغنى له، حتى لا يبقى له ميل إلى الإسلام، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[لقمان: ٦].

٤- سياسة المفاوضات: جاء فيما عند علماء السيرة أن عتبة بن ربيعة - وكان سيدًا ذا بصيرة ورأى فى قومه - قال فى نادى قريش: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه، وأعرض عليه أمورًا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه كلمه، فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا بن أخى، إنك منا حيث علمت من الشرف فى العشيرة والمكانة فى النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم... فاسمع منى أعرض عليك أمورًا

تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، فقال له رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد أسمع.

قال: يابن أخى... إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفًا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه. فقال له رسول الله ﷺ: **أفرغت يا أبا الوليد؟** قال: نعم... **قال فاسمع منى، ثم قرأ** ﴿حم (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت: ١-٦]، ثم مضى رسول الله فى القراءة وعتبة يسمع حتى وصل إلى قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣] فأمسك عتبة بفيه وناشده أن يكف عن القراءة، وذلك خوفًا مما تضمنته الآية من تهديد، ثم عاد عتبة إلى أصحابه فلما جلس بينهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائى أنى سمعت قولا ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة. والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة.. وما هو بقول بشر، وأنه يعلو لا يعلى عليه، يا معشر قريش أطيعونى وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم.

قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيى فاصنعوا ما بدا لكم.

وروى الطبرى وابن كثير وغيرهما أن نفرا من المشركين فيهم الوليد بن المغيرة والعاص ابن وائل جاءوا فعرضوا على رسول الله ﷺ أن يعطوه المال حتى يكون أغناهم، وأن يزوجوه أجمل أبكارهم على أن يترك شتم آلهتهم وتسفيه عاداتهم، فلما رفض إلا الدعوة إلى الحق الذى بعث به، قالوا: نعبد إلهك يومًا وتعبد آلهتنا يوما، فرفض ذلك أيضًا ونزل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾ [سورة الكافرون].

ثم إن أشراف قريش عادوا فكرروا المحاولة التى قام بها عتبة بن ربيعة فذهبوا إليه مجتمعين، وعرضوا عليه الزعامة والمال، وعرضوا عليه الطب إن كان هذا الذى يأتيه رئيًا من الجن، فقال لهم رسول الله ﷺ : **ما بى ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا، وأنزل علىّ كتابًا، وأمرنى أن أكون بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم، فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة، وإن تردّوه علىّ، أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم.**

فقالوا له: فإن كنت غير قابل منا شيئًا مما عرضناه عليك، فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلداً ولا أقل أمرًا ولا أشد عيشًا منا، فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به، فليسيّر عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا، وليفجر لنا أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن بعث لنا منهم قصىّ بن كلاب، فإنه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول: أحق هو أم باطل، وليجعل لك جنانًا وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبغى... فإن صنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله، وأنه بعثك رسولاً كما تقول، فقال لهم: **ما أنا بفاعل وما أنا بالذى يسأل ربه هذا**، ثم إنهم قالوا له - بعد طول كلام وخصام -: إنا قد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل فى اليمامة يقال له: الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً، فقد أعذرنا إليك يا محمد، وأنّا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا. ثم قاموا وانصرفوا عنه.

٥- الإيذاء: لما رأت قريشٌ أن كل ما سبق من أساليب لا يجدى لهم نفعًا فى كف الدعوة الإسلامية عن المضى فى طريقها بدأوا فى الإيذاء والتعذيب للنبى ﷺ وأصحابه، فقد روى البخارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: أن النبى ﷺ كان يصلى عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذا قال بعضهم لبعض: أيكم يجئ بسلا جزور بنى فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم (وهو: عقبة بن أبى معيط) جاء به فنظر، حتى إذا سجد النبى ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر، لا أغنى شيئًا، لو كانت لى منعة، قال: فجعلوا يضحكون، ويتمايل بعضهم على بعض مرحًا وبطراً ورسول الله ﷺ ساجد، لم يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة، فطرحته عن

ظهره، فرفع رأسه، ثم قال: «**اللهم عليك بقريش**» ثلاث مرات، فشق ذلك عليهم، إذ دعا عليهم (وكانوا يرون أن الدعوة فى ذلك البلد مستجابة).

ومنه ما كانوا يواجهونه به من فنون الهزء والغمز واللمز كلما مشى بينهم أو مر بهم فى طرقاتهم أو نواديهم.

ومنه ما رواه الطبرى وابن إسحاق أن بعضهم عمد إلى قبضة من التراب فنثرها على رأسه وهو يسير فى بعض سكك مكة، وعاد إلى بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب وهى تبكى ورسول الله يقول لها: «**يا بنية لا تبكى فإن الله مانع أباك**»، وغير ذلك من الاعتداءات الدنيئة مع ما لشخصيته القدوة من جلال ووقار وجلال فى نفوس العامة والخاصة ومع حماية أبى طالب له.

وأما أصحابه رضوان الله عليهم، فقد تجرع كل منهم ألوانًا من العذاب يفزع لذكرها الحليم، حتى مات منهم من مات تحت التعذيب، وعمى من عمى، ولم يثنهم ذلك عن دين الله شيئًا، ويطول البحث لو ذهبنا نسرد كل ما ورد ولكننا نشير إلى نماذج من العذاب الذى لاقاه بعضهم:

١- كان عم عثمان بن عفان رضى الله عنه يلفه فى الحصير من أوراق النخيل ثم يشعل النار تحته.

٢- ولما علمت أم مصعب بن عمير رضى الله عنه بإسلامه أجاعته وأخرجته من بيته، وكان من أنعم الناس عيشًا حتى تخشف جلده تخشف الحية.

٣- وكان بلال - رضى الله عنه - مولى أمية بن خلف الجمحى - فكان أمية يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه فى بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى. فيقول وهو فى ذلك: أحد.. أحد.

٤- وكان عمار بن ياسر - رضى الله عنه - مولى لبنى مخزوم أسلم هو وأبوه وأمه، فكان المشركون وعلى رأسهم أبو جهل يخرجونهم إلى الصحراء إذا حميت الرمضاء فيعذبونهم بحرها، ومر بهم النبى ﷺ وهم يعذبون فقال: «**صبراً آل ياسر! فإن موعدكم الجنة**»، فمات ياسر من العذاب وطعن أبو جهل سمية - أم عمار - فى قُبلها بحربة فماتت وهى أول شهيدة فى الإسلام. وشددوا العذاب على عمار بالحر تارة وبوضع

الصخر على صدره أخرى، وبالتغريق ثالثة: وقالوا: لا نتركك حتى تسب محمداً أو تقول فى اللات والعزى خيرًا، فوافقهم على ذلك مكرهًا وجاء باكيًا معتذرًا إلى النبى ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿**مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**﴾ [النحل: ١٠٦].

٥- وكان مولى لبنى عبد الدار - اسمه أفلح - يشدون برجله الحبل ثم يجرونه على الأرض.

٦- وخباب بن الأرت، كان المشركون يذيقونه ألوانًا من التنكيل وأضجعوه مرات عديدة على صخور ملتهبة، ثم وضعوا عليه حجرًا حتى لا يستطيع أن يقوم، فدخلت الصخور فى ظهره ولما بردت سقطت وتركت تجاويف عظيمة فيه.

وقائمة المعذبين فى الله طويلة ومؤلمة جداً، فما من أحد علموا بإسلامه إلا تصدوا له وآذوه. وننقل هنا ما رواه الإمام البخارى عن خبّاب ابن الأرتّ أنه قال: أتيت النبى ﷺ وهو متوسد بردةً وهو فى ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله: ألا تدعو لنا؟ فقعد وهو محمر الوجه، فقال: «**لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعلجون**».

التقويم

١- عدِّد الأساليب التى استعملتها قريش فى مواجهة الدعوة؟

٢- وضح أساليب قريش فى مواجهة الدعوة؟

٣- يقول الله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**﴾ [الذاريات: ٥٢] فى ضوء هذا الآية اربط بين الأساليب التى استعملتها قريش لمواجهة الدعوة فى عهد الرسول ﷺ، وما يشابه ذلك فى العصر الحديث لمن اتبع منهج الرسول ﷺ وجهر به.

٤- استخلص العبر والدروس من هذا المقطع موضحًا إلى أى مدى استفدت منها.

الفصل الخامس

صور من حياة الصحابة رضوان الله عليهم

١- عمر بن الخطاب رضى الله عنه

٢- أبوعبيدة بن الجراح رضى الله عنه

٣- سليمان الفارسى رضى الله عنه

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الأهداف الإجرائية السلوكية:

أ- أن يذكر الدارس ملخص تاريخ سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سطور.

ب- أن يذكر الدارس اسمه ولقبه وصفته رضى الله عنه.

ج- أن يوضح الدارس أبرز فضائله ومآثره رضى الله عنه.

د- أن يستخلص الدارس الدروس والعبر المستفادة من دراسة شخصية سيدنا عمر رضى الله عنه.

هـ- أن يوضح الدارس أبرز الصفات والفضائل التى تأثر بها من شخصية سيدنا عمر رضى الله عنه.

و- أن يوضح الدارس أهم أقوال سيدنا عمر رضى الله عنه التى أثرت فى نفسه.

تاريخه فى سطور:

١- ولد قبل بعثة الرسول بثلاثين سنة..

٢- كان عدد المسلمين يوم أسلم تسعةوثلاثين..

٣- كان صهر رسول الله وأبا أم المؤمنين حفصة.

٤- كان عمره يوم الخلافة خمساً وخمسين سنة..

٥- كانت مدة الخلافة عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام..

٦- فتحت فى عهده بلاد الشام والعراق وفارس ومصر وبرقة وطرابلس الغرب وأذربيجان ونهاوند.

٧- بنيت فى عهده البصرة والكوفة.

٨- أول من أرّخ بالهجرة، ودون الدواوين..

٩- دفن مع رسول الله وصاحبه أبى بكر فى غرفة عائشة..

١٠- تزوج فى الجاهلية، قريبة أم كلثوم بنت جرول وفى الإسلام زينب بنت مظعون، وأم كلثوم بنت على رضى الله عنه، وجميلة بنت ثابت، وأم حكيم بنت الحارث، وعاتكة بنت زيد وقد توفى وبعضهن فى عصمته..

١١- كان له من الولد اثنا عشر: ستة من الذكور: وهم عبد الله وعبد الرحمن وزيد وعبيد الله وعاصم وعياض وست من الإناث وهن: حفصة ورقية وفاطمةوصفية وزينب وأم الوليد.

اسمه ولقبه وصفته:

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، يجتمع نسبه مع النبى ﷺ فى كعب بن لؤى، فهو قرشى من بنى عدى.

وكنيته أبوحفص، والحفص هو شبل الأسد، كناه به النبى ﷺ يوم بدر، ولقبه الفاروق، لقبه بذلك النبى ﷺ يوم إسلامه، فأعز الله به الإسلام، وفرق به بين الحق والباطل.

نشأ فى مكة عاصمة العرب الدينية، من بيت عرف بالقوة والشدة، كما كانت إليه السفارة فى الجاهلية، إذا وقعت بين قريش وبين غيرها حرب، بعثته سفيراً يتكلم باسمها، وإن نافرهم منافر، أو فاخرهم مفاخر، بعثوا به منافراًعنهم، ومفاخراً بهم.

وكان طويلاً بائن الطول، إذا مشى بين الناس أشرف عليهم كأنه راكب، أسمر، مشربًا بحمرة، حسن الوجه، غليظ القدمين والكفين، أصلع خفيف العارضين، جلداً شديد الخلق، ضخم الجثة، قوى البنية، جهورى الصوت. قالت فيه الشفاء بنت عبد الله: كان عمر إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو الناسك حقاً.

كان من أنبه فتيان قريش وأشدهم شكيمة، شارك فيما كانوا يتصفون به من لهو وعبادة. فشرب الخمر، وعبد الأوثان واشتد بالأذى على المسلمين فى سنوات الدعوة الأولى، وكان يعرف القراءة والكتابة.

وأخرج بن أبى الدنيا بسند صحيح عن أبى رجاء العطاردى قال كان عمر طويلاً جسيمًا أصلع أشعر شديد الحمرة كثير السبلة فى أطرافها صهوبة وفى عارضيه خفة وروى يعقوب بن سفيان فى تاريخه بسند جيد إلى زر بن حبيش قال رأيت عمر أعسر أصلع آدم قد فرع الناس كأنه على دابة قال فذكرت هذه القصة لبعض ولد عمر فقال سمعنا أشياخنا يذكرون أن عمر كان أبيض فلما كان عام الرمادة وهى سنة المجاعة ترك أكل اللحم والسمن وأدمن أكل الزيت حتى تغير لونه، فشحب لونه.

إسلامه:

كان عمره يوم بعث النبى ﷺ ثلاثين سنة، أو بضعًا وعشرين سنة، على اختلاف الروايات. وقد أسلم فى السنة السادسة من البعثة، فى قصة مشهورةفى السيرة النبوية. ومنذ أسلم انقلبت شدته على المسلمين إلى شدة على الكافرين، ومناوأة لهم، فأوذى وضرب، وقد سبقه إلى الإسلام تسعة وثلاثون صحابيًا فكان هو متممًا للأربعين، وقد استجاب الله به دعوة رسوله ﷺ إذ قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: أبى جهل بن هشام أو عمر بن الخطاب» (أخرجه الترمذى) فكان إسلامه دون أبى جهل، دليل على محبة الله له، وكرامته عنده.

وفى رواية أم عمر بنت حسان الثقفية عن زوجها سعيد بن يحيى عن قيس عن أبيه عن عمر فذكر قصة وفيها كان رسول الله ﷺ يقول اللهم اشدد الدين بعمر اللهم اشدد الدين بعمر اللهم اشدد الدين بعمر.

وأخرج أحمد من رواية صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد قال: قال عمر: خرجت أتعرض لرسول الله ﷺ فوجدته سبقنى إلى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش قال فقرأ إنه لقول رسول كريم، وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون، فقلت كاهن قال: ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون، حتى ختم السورة قال فوقع الإسلام فى قلبى كل موقع.

وأخرج محمد بن عثمان بن أبى شيبة فى تاريخه بسند فيه إسحاق بن أبى فروة عن ابن عباس أنه سأل عمر عن إسلامه فذكر قصته بطولها وفيها أنه خرج ورسول الله ﷺ بينه وبين حمزةوأصحابه الذين كانوا قد اختفوا فى دار الأرقم فعلمت قريش أنه امتنع فلم تصبهم كآبة مثلها قال فسمانى رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق.

صحبته للرسول:

كان فى صحبته للرسول ﷺ مثال المؤمن الواثق بربه، المطيع لنبيه، الشديد على أعداء الإسلام، القوى فى الحق، المتمسك بما أنزل الله من أحكام. شهد المعارك كلها مع

رسول الله ﷺ، وأثنى عليه الرسول بما يدل على عظيم منزلته عنده، وبلائه فى الإسلام. ومما ورد فيه قوله: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، وفرق الله به بين الحق والباطل» (أخرجه الترمذى).

وكان ذا رأى سديد، وعقل كبير، وافق القرآن فى ثلاث مسائل قبل أن ينزل فيها الوحى. كان من رأيه تحريم الخمر فنزل تحريمها بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [المائدة: ٩٠].

وكان من رأيه عدم قبول الفداء من أسرى بدر، فنزل القرآن مؤيداً رأيه، كما أشار على النبى باتخاذ الحجاب على زوجاته أمهات المؤمنين فنزل القرآن بذلك.

ولما توفى رسول الله ﷺ جزع لذلك جزعًا شديداً، حتى زعم أن رسول الله لم يمت، وأنه ذهب يناجى ربه وسيعود إلى الناس مرة أخرى: وأعلن أنه سيضرب كل من زعم أن رسول الله ﷺ قد مات. وهكذاتوفى رسول الله ﷺ وهو يمثل الشدة على أعداء الله من مشركين ومنافقين. وكان إذا رأى أحداًأساء إلى النبى ﷺ بقول أو فعل، قال لرسول الله: دعنى يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق. وقد شهد له رسول الله بالجنة، وهو أحد العشرة المبشرين بها (جامع الأصول ٨ / ٥٥٨)، وحسبه شرفًا ومكانه عند الله أن رسول الله توفى وهو عنه راض.

فى خلافة أبى بكر:

وكان عمر فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه وزير صدق، ومساعد خير، به جمع الله القلوب على مبايعة أبى بكر يوم اختلف الصحابة فى سقيفة بنى ساعدة، وكان إلهامًا موفقًامن الله أن بادر عمر إلى مبايعة أبى بكر، فبادر الأنصار والمهاجرون بعد ذلك إلى البيعة. ولقد كان أبوبكر أجدر الصحابة بملء هذا المكان الخطير بعد رسول الله ﷺ، بل لقد علم الصحابة جميعًا، أن الرسول حين استخلف أبابكر على الصلاة إنما أشار بذلك إى أهليته للخلافة العامة، ولكن فضل عمر فى مبايعته أبى بكر، إنما كان فى حسم مادة الخلاف الذى كاد يودى بوحدة المسلمين، ويقضى على دولة الإسلام الناشئة.

وكانت شدة عمر فى حياة النبى عليه السلام، هى فى حياة أبى بكر.. فأبوبكر كان رجلاً حليمًا تملأ الرحمة برديه، ويغلب الوقار والعفو على صفاته كلها، فكان لابد من رجل قوى الشكيمة كعمر، يمزج حلم أبى بكر بقوة الدولة، وهيبة السلطان.. فكان عمر هو الذى قام هذا المقام، واحتل تلك المنزلة. ولذلك كان أبوبكريأخذ برأيه، ويعمل بقوله. أمر أبوبكر يومًا بأمر فلم ينفذه عمر، فجاءوا يقولون لأبى بكر: والله ما ندرى الخليفة أنت أم عمر؟ فقال أبوبكر: هو إن شاء والله!..

وتلك لعمرى نفحة من نفحات العظمة الإسلامية التى أرادها الله بشير خير للمسلمين وللعالم بعد وفاة الرسول... عمر يقول لأبى بكر يوم السقيفة: أنت أفضل منى، وأبوبكر يجيبه بقوله: ولكنك أقوى منى.. فيقول عمر لأبى بكر: إن قوتى مع فضلك.. وبذلك تعاونت العظمتان فى بناء صرح الدولة الإسلامية الخالدة.. فضل أبى بكر وحلمه وعقله وحزمه، مع قوة عمر وبأسه وشدته وهيبته.

عمر فى الخلافة:

ويتولى عمر الخلافة، وهى أشد ما تكون حاجة إلى رجل مثله، المسلمون يشتبكون فى حروب طاحنة مع فارس والروم، والبلاد الإسلامية التى فتحت تحتاج إلى ولاة أتقياء أذكياء، يسيرون فى الرعية سيرة عمر فى حزمه وعفته وعبقريته فى التشريع والإدارة، والعرب الفاتحون قد أقبلت عليهم الدنيا فهم منها على خطر عظيم، أن يركنوا إليها، ويملوا حياة الجهاد والكفاح، ويعبوا عن لذائذها وزينتها وترفها..

تولى عمر الخلافة فسجل أروع الآثار فى تاريخ الإسلام:

– أتم ما بدأ به أبوبكر من حرب فارس والروم، فانتهت باستيلاء المسلمين على مصروالشام والعراق ومملكة فارس.

– نظم جهاز الدولة، فدون الدواوين، وفرض الأعطيات، وجبى خراج الأراضى المفتوحة بأعدل طريق وأقوم سياسة، وواجه حاجات الدولة الإسلامية فى الأنظمة والقوانين، بأعظم عبقرية تشريعية عرفها تاريخ الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ.

– حكم البلاد المفتوحة بيد تجمع بين القوة والرهبة، وبين الرفق والحسم،و بين العدل والتسامح، فكان حكم عمر مضرب الأمثال فى ذلك، فى تواريخ الأمم كلها، وقل أن عرفت الإنسانية حاكمًا مثله خلده التاريخ بعدله ورحمته.

- أبرز نواحى عظمته :

١- الدفاع عن العقيدة :

فلقد كان عمر شديد الوطأة على المسلمين حين كان يعتقد بطلان دينهم، وأنهم مرتدون عن عقيدته وعقيدة العرب يومئذ، فما كان يترك وسيلة للدفاع عن عقيدته الوثنية، وإيذاء المسلمين فى دينهم الجديد إلا سلكها، حتى إذا أسلم عمر، بدا فى حماسة لعقيدته الجديدة، أشد مما بدا فيه فى الدفاع عن عقيدته الموروثة، وقف بعد إسلامه على رؤوس قريش، وهم فى فناء الكعبة، ثم أعلن بصوته الجهورى : إنه قد صبأ عن دينه القديم إلى الإسلام.

وكان المسلمون يستخفون فى إسلامهم - فسار إليه الناس يضربونه ويضربهم، حتى قام إليه خاله أبوجهل فأجاره، فانكشف الناس عنه، ولكنه رأى المسلمين يُضربون فقال : ألا يصيبنى مايصيب المسلمين؟ ثم جاء إلى خاله، فرد عليه جواره، فعاد الناس إليه يضربونه ويضربهم، حتى أعز الله الإسلام.

٢- شدته فى الحق :

لم يكن يرى فى سلوك طريق الحق هوادة ولا لينا، ولا يرى أن يجامل فى سبيله صديقًا ولا قريبًا. كان رأيه فى أسرى بدر أن تقطع رقابهم، وهو اشراف قريش وزعماؤها، لما كان يرى فى ذلك من إرهاب الشرك وأهله، وعقوبة أعداء الله وأعداء رسوله.

ولم يرض يوم صلح الحديبية بالشروط التى وافق عليها الرسول ﷺ ورأى فيها مهانة للمسلمين وضعفًا، فأتى رسول الله فقال له : يارسول الله ألسنا على حق وهم على الباطل! قال بلى قال : أليس قتلانا فى الجنةوقتلاهم فى النار؟! قال : نعم، قال : فعلام نعطى الدنية فى ديننا؟ أنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ قال الرسول : يابن الخطاب إنى رسول الله، ولن يضيعنى الله أبداً. فانطلق عمر إلى أبى بكر فقال له مثل ما قال للرسول، فأجابه أبوبكر بمثل ما أجابه الرسول ﷺ.

٣- خضوعه للقيادة :

ومع ما كان عليه من الشدة فيما يعتقد أنه حق، فلقد كان شديد الخضوع للقيادة

حين تحزم أمرها، ولو كان مخالفًا لرأى عمر فمع ما رأيتموه فى موقف عمر يوم صلح الحديبية من شدةوغضب، فلقد خضع لقائده رسول الله ﷺ عندما قال له : يابن الخطاب، إنى رسول الله ولن يضيعنى الله أبداً، ورضى بما رضى به رسول الله ﷺ . .

وها نحن أولاء نراه أو لانراه يجادل أبابكر فى حرب المرتدين، هو يرى أن لا يحاربهم المسلمون، وأبو بكر يرى وجوب محاربتهم فلما رأى عمر تصميم قائده أبى بكر على القتال حتى شرح الله صدر عمر وعلم أن الله أجرى الحق على لسان أبى بكر، فكان أول من أطاع ولبى.

٤- الرحمة بالشعب :

ومع هذه الشدة التى رأيتموها من عمر فى الحق، كانت له رحمة بالشعب، من ضعفاء، وفقراء، وعطف على الرعية، قل أن نجد له مثيلاً فى التاريخ. ولما خاف المسلمون من أن يشتد عليهم فى ولايته، خطب فيهم فكان مما قاله : «اعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت (تضاعفت وازدادت)، ولكنها تكون على أهل الظلم والتعدى على المسلمين، فأما أهل السلامة والدين والقصد، فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحداً يظلم أحداً أو يعتدى عليه، حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمى على الخد الآخر حتى يذعن بالحق. وإنى بعد شدتى تلك أضع خدى على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف.

تلك هى رحمة عمر، رحمة القوى الحازم العادل، بمن يستحق الرحمة، رحمة الحاكم الناصح لأمته ودينه. وبذلك كان يعس فى الليل والناس نيام، يتفقد المنقطعين والمعوزين والبائسين . . ولعلكم جميعًا تعرفون قصته مع المرأة التى كانت تدق لأطفالها الجياع على الحصى، وتوهمهم أنها تطبخ لهم، حتى يسكتوا وينامو . . حتى إذا جاء عمر ورأى ما رأى حمل بنفسه الطحين والسمن، وطبخ بيده الطعام، وأطعم الأولاد حتى شبعوا ولعبوا ولعل أروع مآثر عمر فى الرحمة بالشعب، موقفه عام الرمادة، وقد كان ذلك فى السنة ١٨هـ، إذ أصاب الناس فى الحجاز قحط عظيم دام تسعة أشهر، حتى كانت الوحوش تأوى إلى الناس، وكان الناس يحفرون نفق اليرابيع والجرزان، ليأكلوا فيها من حشرات. واستغاث عمر بولاة الأمصار أن يمدوه بالميرةوالطعام، ففعلوا،وكانت سنة أصاب عمر من همها وبلائها وحزنها ما نحل معه جسمه، وأسود لونه، حتى قالوا : لو لم

يرفع الله المحل وعام الرمادة، لظننا أن عمر يموت هما بأمر المسلمين...

ولقد كان يؤتى إليه من الأمصار بقوافل الطحين والسمن واللحوم، فيفرقها على المسلمين، ما يأكل منها شيئًا، وإنما كان يأكل الزيت والخبز الأسود، وكان يقول: لقد أليت على نفسى ألا أكل السمن واللحم حتى يشبع منهما المسلمون جميعًا...

٥- يقظته فى إدارة الدولة:

كان عمر شديد المراقبة لعماله، دقيق الاختيار لولاة الأمصار، وكانت الكفاءة عنده هى أساس تولية العمل من غير نظر إلى شىء آخر من عبادة أو زهد، كان يقول: أريد رجلاً، إذا كان فى القوم وليس أميرهم، كان كأنه أميرهم، وإذا كان أميرهم، كان كأنه رجل منهم، كان يستعمل رجالاً مثل عمرو بن العاص، ومعاوية بن أبى سفيان، والمغيرة بن شعبة، ويدع من هو أفضل منهم مثل عثمان وعلى وطلحة والزبير لأن أولئك كانوا أقدر على العمل، وأحسن قيامًا به، وأكثر هيبة له من هؤلاء، وكان إذا استعمل رجلاً علي عمل، كتب عليه كتابًا، وأشهد عليه رهطًا من المهاجرين والأنصار. وإذا بعث عماله إلى الأمصار قال لهم: إنى لم أبعثكم جبابرة، ولكن بعثتكم أئمة، فلا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجمروهم فتفتنوهم (أى لا تطيلوا أمد إقامتهم فى الحرب بعيدين عن أهلهم ونسائهم) ولا تمنعوهم فتظلموهم.

ومن قوله رضى الله عنه: إنى لأتحرج أن أستعمل الرجل، وأنا أجد أقوى منه. وكان يعقد كل سنة مؤتمرًا لعماله فى موسم الحج ليسألهم عن أحوال البلاد وشئونها، وسير الإدارة فيها.

وكان علمه بمن بعد عنه من عماله ورعيته، كعلمه بمن قرب منه. حتى إن عماله وامراءه وقضاته، كانوا يعتقدون فى قرارة أنفسهم أن عين عمر لا تفارقهم، وأنه يعلم من أخبارهم صغيرها وكبيرها.

وكان له مفتشون ينزلون الأمصار على غير علم من ولاتها، فيستقصون سيرة الولاةوأحوالها من أفواه الشعب، ويرونه بأعينهم، وبذلك استقام الأمر فى الدولة الإسلامية فى عهد عمر على خير ما يرجوا عمر من عدل وسعادة للناس أجمعين.

٦- عبقريته فى التشريع:

كان عمر رضى الله عنه فقيهًافى دين الله، بعيد الغور فى فهم أسرار التشريع، حاد الذهن فى استنباط معانى التنزيل وأحكامه، وأسقط سهم المؤلفة قلوبهم وقال لهم:

لقد كان يعطيكم رسول الله والإسلام يومئذ ضعيف، وأما الآن فقد أعز الله الإسلام، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وأسقط حد السرقة عام المجاعة بشبهة الجوع الحاملة على ذلك. وكان يحرر العبيد حين يشكون إليه ظلم أسيادهم وتعذيبهم لهم.

وهكذاكان رأس مدرسة فى الصحابة ثم التابعين وأئمة الاجتهاد من بعدهم، عرفت بمدرسة أهل الرأى، وكان لها أثر كبير فى الفقه الإسلامى وتيسيره للناس.

رحم الله عمر وأرضاه، وجزاه عن الإسلام كفاء ما قدم من جهد، وبذل من نصح، وأقام للحق والعدل والحضارة من أسس قويمة، وقواعد راسخة.

من كلماته الخالدة:

قال يوم ولى الخلافة: إن الله ابتلاكم بى، وابتلانى بكم، وأبقانى فيكم بعد صاحبى، فلا والله لا يحضرنى شىءمن أمركم فيليه أحد دونى، ولا يتغيب عنى فآلوا فيه عن أهل الصدق والأمانة، ولئن أحسنوا لأحسنن إليهم ولئن أساءوا لأنكلن بهم.

- لكم على أن لا ألقيكم فى المهالك، ولا أحجركم فى ثغوركم، وإذا غبتم فى البعوث، فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم.

- كتب إلى الأمصار بعد عزل خالد: إنى لم أعزل خالداً عن سخطة ولا عن خيانة، ولكن الناس فتنوا به فخشيت أن يوكلوا إليه ويبتلوا، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع، وأن لا يكونوا بعرض فتنة. (أى معرضين للفتنة بخالد).

- وكتب إلى سعد حين ولاه حرب العراق: لا يغرنك من الله أن قيل: خال رسول الله ﷺ، وصاحب رسول الله، فإن الله عز وجل لا يمحو السىء بالسيء، ولكنه يمحو السىء بالحسن فإن الله ليس بينه و بين أحد نسب إلا طاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء، الله ربهم، وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة.

أول خطبة له:

اقرأوا القرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وزنوا أنفسكم قبل أن تزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر، يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافيه، إنه لم يبلغ حق ذى حق أن يطاع فى معصية الله، ألا وإنى أنزلت نفسى من مال الله بمنزلة ولى اليتيم، إن استغنيت عففت وإن افتقرت، أكلت بالمعروف. (حياة الصحابة).

ومن خطبة له:

أيها الناس، إن بعض الطمع فقر، وإن بعض اليأس غنى، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون وأنتم مؤجلون فى دار غرور، كنتم على عهد رسول الله ﷺ تؤخذون بالوحى، فمن أسر شيئًا أخذ بسريرته، ومن أعلن شيئًا أخذ بعلانيته، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم، والله أعلم بالسرائر، فإنه من أظهر لنا شيئًا وزعم أنه سريرته حسنة لم نصدقه، و من أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسنًا، واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق، فانفقوا خيرًا لأنفسكم، ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن: ١٦]. أيها الناس أطيبوا مثواكم، وأصلحوا أموركم، واتقوا الله ربكم [حياة الصحابة ٣ / / ٤٥٠ نقلاً عن تاريخ الطبرى ٣ / ٢٨٢].

السر والعلانية:

أوصى سعداً حين أرسله لحرب فقال: عود نفسك ومن معك الخير واستفتح به، واعلم أن لكل عادة عتاداً (أى عدة) فعتاد الخير الصبر، فالصبر الصبر على ماأصابك أونابك يجتمع لك خشية الله. واعلم أن خشية الله تجتمع فى أمرين: فى طاعته واجتناب معصيته، وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة. وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاءً، منها السر ومنها العلانية، فأما العلانية فأن يكو حامده وذامه فى الحق سواء، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبة الناس، فلا تزهد فى التحبب، فإن النبيين قد سألوا محبتهم وإن الله إذا أحب عبداً حببه، وإذا أبغض عبداً بغضه، فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس ممن يشرع معك فى أمرك.

الذنوب أخوف على الجيش من العدو:

وكتب إلى سعد ومن معه من الأجناد:

أما بعد، فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة فى الحرب. وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى منكم ومن عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة، وإن لا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، فاعلموا أن عليكم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى إسرائيل (لما عملوا بمساخط الله) كفار المجوس ﴿ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً ﴾ [الإسراء: ٥]. واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم. اسأل الله ذلك لنا ولكم.

(أقول) وهذا الكتاب مما يجب أن يحفظه كل داعية إلى الله عز وجل، ومما يجب أن يتنبه لما فيه كل زعيم وقائد. ألا ليت الذين يجتمعون الآن فى جامعة الدول العربية، ويبحثون عن سلاح ليخوضوا به معركة الدفاع عن بلادهم، ليتهم قرءوا هذا الكتاب وعملوا به، إذا لأيقنوا أن السلاح الروحى والخلقى للأمة والجيش، تجب العناية به قبل العناية بالسلاح المادى.. وكأنى بعمر يصرخ - فى هذا الكتاب - من عالم الخلود بهؤلاء الذين يريدون أن يتسابقوا مع إسرائيل فى السلاح، حتى يكونوا أقوى منها عدة.. يصرخ بهم ويقول لا تنسوا السلاح الذى هزمنا به كسرى وقيصر: و هما أعز من شاريت وابن جوريون وشارون، وفتحنا به الشام والعراق، وقد كنا يومئذ أمنع من إسرائيل اليوم...

لا تنسوا سلاح الطاعة والتقوى...

لا تنسوا أن تنتصروا على أنفسكم وشهواتكم وأحقادكم وطغيانكم، قبل أن تحاولوا النصر على عصابات إسرائيل..

التقويم

١- اذكر ملخص تاريخ سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سطور.

٢– اذكر اسم ولقب وصفة سيدنا عمر رضى الله عنه.

٣– وضح أبرز فضائل ومآثرسيدنا عمر رضى الله عنه.

٤– استخلص الدروس والعبر المستفادة من دراسة شخصية سيدنا عمر رضى الله عنه.

٥– وضح أبرز الصفات والفضائل التى تأثرت بها من شخصية سيدنا عمر رضى الله عنه.

٦– وضح أهم أقوال سيدنا عمر رضى الله عنه التى أثرت فى نفسك – وكيف كان هذا التأثر.

* * *

أبوعبيدة عامر بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٤٠ ق. هـ – ١٨ هـ = ٥٨٤ م – ٦٣٩ م)

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١– أن يعرف الدارس من هو أمين الأمة.

٢– أن يذكر الدارس أبرز مآثر أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه.

٣– أن يذكر الدارس وصية أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه لجنده عند موته.

٤– أن يذكر الدارس ما تعلمه من دراسة شخصية أبى عبيدة ابن الجراح رضى الله عنه.

تاريخه فى سطور:

هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك يجتمع مع النبى ﷺ فى فهر بن مالك، وأمه أميمة ابنة غنم بن جابر بن عبد العزى بن عامرة، وكنيته أبوعبيدة ولقبه النبى ﷺ بالأمين، أصرًّا أبوه على الشرك والكفر والضلال، ولم يفلح فى إدخال أبيه حظيرة الإسلام، وتلاقى الإثنان وجهًا لوجه يوم بدر فصرع أباه!!! فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ**﴾ [المجادلة: ٢٢]. وقد كان أبوعبيدة بن الجراح رجلاً طويلاً نحيفًا خفيف اللحية، فارسًا شجاعًا، وبطلاً مغوارًا، قوى الخلق، متين البنية، وكان زاهدًا فى الدنيا، كثير الخشوع لله والخشية منه، شجاعًا فى الحرب، هلوعًا بين يدى ربه، فيه صلابة وفيه عزة وفيه قوة.

وقد سارع أبوعبيدة عامر بن الجراح إلى الإسلام فور دعوة أبى بكر إياه، ووقف أمام النبى ﷺ وأعلن إسلامه وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًارسول الله حقًا وصدقًا، وأن الدين عند الله الإسلام، وورد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: (نعم الرجل أبوعبيدة بن الجراح).

ولقد قال فيه رسول الله ﷺ : «إن لكل أمة أمينًا، وأن أمين هذه الأمة أبوعبيدة بن الجراح».

فلقد هاجر مع رسول الله ﷺ إلى الحبشة، ثم عاد منها ليقف إلى جوار المصطفى عليه الصلاةو السلام وشهد معه المشاهد والمعارك كلها، وبعد موت رسول الله ﷺ واصل المسيرة، وأخلص الدعم والبذل، زاهداً فى الدنيا، وتزودًا للآخرة، غاية فى التقوى والورع والزهد والوفاء والأمانة.

لقد أحب رسول الله أبا عبيدة، وأحب أبو عبيدة كذلك رسول الله فلما كانت غزوة أحد وحدث ما حدث للمسلمين فيها كان أبوعبيدة حصنًا واقيًا لرسول الله ﷺ دافع عنه بقوة وافتداء.

ولما جاء وفد نجران من اليمن إلى النبى ﷺ يبتغون الإسلام قال لهم رسول الله ﷺك (لأبعثنَّ معكم رجلاً أمينًا، حقَّ أمين..... حقَّ أمين..... حقَّ أمين). وبعث معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح ليعلمهم القرآن.

زهد أبى عبيدة بن الجراح:

أخرج الطبرانى عن مالك رضى الله عنه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخذ أربع مائة دينار فجعلها فى صرة فقال للغلام: اذهب بها إلى أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ثم تلهَّ فى البيت ساعة فانظر ما يصنع! فذهب بها الغلام إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذا فى بعض حاجتك! فقال: وصله الله ورحمه! ثم قال: تعالى ياجارية! إذهبى بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان. وبهذه الخمسة إلى فلان! حتى أنفذها. ورجع الغلام إلى عمر فأخبره... وأخرج البخارى فى التاريخ الصغير عن زيد ابن اسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لأصحابه: تمنوا! فقال أحدهم أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم فأنفقها فى سبيل الله! فقال: تمنوا! قال آخر أتمنى أن يكون البيت ملء هذا ذهبًا فأنفقه فى سبيل الله... وقال آخر مثله. فقال عمر لكنى أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالاًأمثل أبى عبيدة ابن الجراح ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان رضى الله عنهم فاستعملهم فى طاعة الله، ثم بعث بمال إلى أبى عبيدة بن الجراح فقسمّه، ومعاذ بن جبل فقسمّه وحذيفة بن اليمان فقسمّه فقال عمر قد قلت لكم أو كما قال.

وأخرج البيهقى عن أسلم قال: لما كان يوم عام الرمادة وأجدبت الأرض... دعا عمر بن الخطاب أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه فخرج فى ذلك، فلما رجع بعث إليه بألف دينار، إنى لم أعمل لك يا ابن الخطاب إنما عملت لله، ولست آخذ فى ذلك شيئًا، فقال عمر قد أعطانا رسول الله ﷺ فى أشياء بعثنا لها فكرهنا ذلك فأبى علينا رسول الله ﷺ فاقبلها أيهالرجل! فاستعن بها على دينك ودنياك! فقبلها أبوعبيدة. وأخرجه أيضًا ابن خزيمة والحاكم.

وقال معمر فى حديثه لما قدم عمر الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض، فقال عمر أين أخى؟ قالوا من؟ قال: أبوعبيدة، قالوا: الآن يأتيك! فلما أتاه نزل فاعتنقه ثم دخل عليه بيته فلم ير فى بيته إلا سيفه وترسه ورحله، فقال له عمر: ألا اتخذت ما اتخذ أصحابك؟ فقال يا أمير المؤمنين! هذا يبلغنى المقيل... أخرجه أبونعيم فى الحلية جـ١ ص١٠١.

رقته ودعته وتواضعه:

وقد كان أبوعبيدة مثالاً حيًا للرقة والدعة، ونفسٌ مثل هذه النفس لابد أن تكون موضع الإعجاب والتقدير.

لما بعث إليه عمر بن الخطاب أمير المؤمنين فور توليه الخلافة خطابًا ليتولى مهام قيادة الجيوش الإسلامية المقاتلة محل خالد بن الوليد، وكان خالد على وشك الدخول فى المعركة بعد بضعة أيام ثم يشتبك الجمعان، فلما وصل مبعوث عمر إلى أبى عبيدة، فكر وقدَّر الموقف الحرج الذى يمر به فأخفى عن خالد بن الوليد هذا الأمر حتى إذا انتهت المعركة الفاصلة مع الأعداء، وتقدَّم فى أدب جمّ وتواضع شديد إلى خالد وقال له: هذا كتاب أمير المؤمنين... وأعطاه إياه، فقال خالد: «يرحمك الله يا أبا عبيدة ما منعك أن تخبرنى حين جاءك الكتاب؟؟).

فأجاب أبوعبيدة: (إنى كرهت أن أكسر عليك حربك، وما سلطان الدنيا نريد، ولا للدنيا نعمل، كلنا فى الله أخوة).

رجل استسلمت لإمرته ولنصل سيفه أقطار الفرس، وأباطرة الرومان، واتسعت دائرة ملكه فى الشام لكنه يرى فى أبسط صورة وفى أيسر تكوين لأنه لم يتعلق بالفانية، فلم

يعرها التفاتًا بل كان يبدو إنسانًا عاديًا من الرعية لا يكاد يميزه من يجهله عن كونه فردًا من أفراد قومه.

ومن تواضعه ما أخرجه عبد الرازق والخرائطى فى مكارم الأخلاق والبيهقى وابن عساكر عن تميم بن سلمة قال: لما قدم عمر رضى الله عنه الشام استقبله أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه فصافحه وقبل يده ثم خلوا يبكيان، فكان تميم يقول تقبيل اليد سنة. كذا فى الكنز ج٥ ص٥٤.

وصيته رضى الله عنه لجنده عند موته:

أصيب أبوعبيدة بالطاعون فى (عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه) بأرض الأردن فلما حضرته الوفاة أوصى جنده فقال:

إنى موصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير:

أقيموا الصلاة وآتوا الزكاةوصوموا شهر رمضان وتصدقوا وحجوا واعتمروا وتواصوا وانصحوا لأمرائكم ولا تغشوهم، ولا تلهكم الدنيا فإن المرء لو عمّر ألف حَوْل ما كان له بد من أن يصير إلى مصرعى هذا الذى ترون.. إن الله كتب الموت على بنى آدم فهم ميتون وأكيسهم أطوعهم لربه، وأعملهم ليوم ميعاده... والسلام عليكم ورحمة الله.

ثم التفت إلى معاذ ابن جبل وقال: يا معاذ صلِّ بالناس. ثم ما لبث أن فاضت روحه الطاهرة، فقام معاذ وقال: أيها الناس إنكم قد فجعتم برجل - والله - ما أعلم أنى رأيت رجلاً أبرّ صدرًا ولا أبعد غائلة، ولا أشد حبًا للعاقبة ولا أنصح للعامة منه، فترحموا عليه يرحمكم الله.

ولفظ أبوعبيدة أنفاسه فوق الأرض التى حارب عليها وأبلى أحسن البلاء، ثم دفن فيها بعد أن طهرها من رجس الأوثان وعبادة الأصنام وأشاع فيها العدل والحكمة.

ولما وافت المنية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قال: لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح لاستخلفته وما شاورت، فإن سئلت عنه قلت: استخلفت أمين الله وأمين رسول الله.

لقد كان أبوعبيدة صادقًا مع نفسه ومع ربه ومع رسول الله ﷺ وفيًا كل الوفاء لعقيدته.

رحم الله أبا عبيدة وسقاه من سلسبيل الجنة

التقويم

١- من هو أمين الأمة؟

٢- اذكر أبرز مآثر أبوعبيدة بن الجراح رضى الله عنه - وماذا تعلمت منها.

٣- اذكر وصية أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه لجنده عند موته - موضحًا ما بها من دلالات وعبر.

٤- اذكر الدروس المستفادة من دراسة شخصية أبوعبيدة ابن الجراح رضى الله عنه.

سلمان الفارسى رضي الله عنه

الأهداف الإجرائية السلوكية :

١– أن يذكر الدارس قصة سعى سيدنا سلمان الفارسى إلى الحقيقة .

٢– أن يستخلص الدارس العبر والدروس المستفادة من مواقف ومآثر سيدنا سلمان الفارسى رضى الله عنه .

٣– أن يوضح الدارس كيف يطبق هذه العبر والدروس فى واقعه الشخصى .

٤– أن يوضح الدارس ما تعلمه شخصياً من دراسة قصة سلمان الفارسى رضى الله عنها .

تاريخه فى سطور :

قصتنا هذه هى قصة الساعى وراء الحقيقة، الباحث عن الله . . .

قصة سلمان الفارسى رضي الله عنه وأرضاه . فلنترك لسلمان نفسه المجال ليروى لنا أحداث قصته . . . فشعوره بها أعمق، وروايته لها أدق وأصدق . . .

قال سلمان : كنت فتى فارسيًا من أهل (أصبهان) [مدينة بوسط إيران]، من قرية يقال لها : (جيان) . وكان أبى (دهقان) رئيس القرية، وأغنى أهلها غنى، وأعلاهم منزلة . وكنت أحب خلق الله إليه منذ ولدت، ثم مازال حبه لى يشتد ويزداد على الأيام حتى حبسنى فى البيت خشية علىّ؛ كما تحبس الفتيات .

وقد اجتهدت فى (المجوسية)، حتى غدوت قيم النار التى كنا نعبدها، وأنيط بى أمر إضرامها حتى لا تخبو ساعة فى ليل أو نهار . . .

وكان لأبى ضيعة عظيمة تدر علينا غلة كبيرة، وكان أبى يقوم عليها، ويجنى غلتها .

وفى ذات مرة شغله عن الذهاب إلى القرية شاغل، فقال يابنى إنى قد شغلت عن الضيعة بما ترى، فاذهب إليها وتول اليوم عنى شأنها، فخرجت أقصد ضيعتنا، وفيماأنا فى بعض الطريق مررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون فلفت ذلك انتباهى .

لم أكن أعرف شيئًا من أمر النصارى أو أمر غيرهم من أصحاب الأديان لطول ما حجبنى أبى عن الناس فى بيتنا، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم لأنظر ما يصنعون .

فلما تأملتهم أعجبتنى صلاتهم، ورغبت فى دينهم وقلت والله هذا خير من الذى نحن عليه، فوا الله ما تركتهم حتى غربت الشمس، ولم أذهب إلى ضيعة أبى، ثم إنى سألتهم : أين أصل هذا الدين؟ قالوا فى بلاد الشام .

ولما أقبل الليل عدت إلى بيتنا فتلقانى أبى يسألنى عما صنعت، فقلت ياأبت إنى مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما رأيت من دينهم، ومازلت عندهم حتى غربت الشمس . . .

فذعر أبى مما صنعت وقال : أى بنى ليس فى ذلك الدين خير . . . دينك ودين آبائك خير منه .

قلت : كلا – والله – إن دينهم لخير من ديننا، فخاف أبى مما أقول، وخشى أن أرتد عن دينى، وحبسنى بالبيت، ووضع قيداً فى رجلى .

ولما أتيحت لىّ الفرصة بعثت إلى النصارى أقول لهم : إذا قدم عليكم ركب يريد الذهاب إلى بلاد الشام فأعلمونى . ما هو إلا قليل حتى قدم عليهم ركب متجه إلى الشام، فأخبرونى به فاحتلت على قيدى حتى حللته، وخرجت معه متخفياً حتى بلغنا بلاد الشام . . .

كما نزلنا فيها، قلت من أفضل رجل من أهل هذا الدين؟

قالوا : الأسقف راعى الكنيسة، فجئته فقلت إنى قد رغبت فى النصرانية، وأحببت أن ألزمك وأخدك وأتعلم منك وأصلى معك . فقلت : ادخل، فدخلت عنده وجعلت أخدمه .

ثم ما لبثت أن عرفت أن الرجل رجل سوء، فقد كان يأمر اتباعه بالصدقةويرغبهم بثوابها، فإذا أعطوه منها شيئًالينفقه فى سبيل ا لله، اكتنزه لنفسه ولم يعط الفقراء والمساكين منه شيئًا، حتى جمع سبع قلال من الذهب .

فأبغضته بغضًا شديداًلما رأيته منه، ثم ما لبث أن مات فاجتمعت النصارى لدفنه، فقلت لهم : إن صاحبكم كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه، ولم يعط المساكين منها شيئًا . قالوا من أين عرفت ذلك؟! .

قلت: أنا أدلكم على كنزه. قالوا: نعم دلنا عليه، فأريتهم موضعه فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهبًا وفضة، فلما رأوها قالوا:والله لاندفنه، ثم صلبوه ورجموه بالحجارة.

ثم إنه لم يمض غير قليل حتى نصبوا رجلاً آخر مكانه، فلزمته، فما رأيت رجلاً أزهد منه فى الدنيا، ولا أرغب منه فى الآخرة، ولا أدأب منه على العبادة ليلاً ونهارًا، فأحببته حبًا جمًا، وأقمت معه زمانًا، فلما حضرته الوفاة قلت له يا فلان إلى من توصى به، ومع من تنصحنى أن أكون من بعدك؟.

فقال: أى بنى، لا أعلم أحدًا على ما كنت عليه إلارجلاً (بالموصل)،هو فلان لم يحرف ولم يبدل فالحق به فلما مات صاحبى لحقت بالرجل فى (الموصل)، فلماقدمت عليه قصصت عليه خبرى وقلت له: إن فلانًا أوصانى عند موته أن ألحق بك،وأخبرنى أنك مستمسك بما كان عليه من الحق، فقال: أقم عندى... فأقمت عنده فوجدته على خير حال، ثم إنه لم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة قلت له: يافلان لقد جاءك من أمر الله ما ترى وأنت تعلم من أمرى ما تعلم، فإلى من توصى بى... ومن تأمرنى باللحاق به؟

فقال: أى بنى، والله ما أعلم أن رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً (بنصيبين) وهو فلان فالحق به، فلما غيب الرجل فى لحده لحقت بصاحب «نصيبين» وأخبرته خبرى وما أمرنى به صاحبى.

فقال لى: أقم عندنا... فأقمت عنده فوجدته على ما كان عليه صاحباه من الخير، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضرته الوفاة قلت له: لقد عرفت من أمرى ما عرفت؛ فإلى من توصى بى؟.

فقال: أى بنى، والله إنى ما أعلم أحدًا بقى على أمرنا إلارجلاً (بعمورية) هو فلان، فالحق به، فلحقت به وأخبرته خبرى، فقال: أقم عندى ... فأقمت عند رجل كان – والله – على هدى أصحابه، وقد اكتسبت وأنا عنده بقرات وغنيمة.

ثم ما لبث أن نزل به ما نزل بأصحابه من أمر الله، فلما حضرته الوفاة قلت له: إنك تعلم من أمرى ما تعلم؛ فإلى من توصى بى؟... وما تأمرنى أن أفعل؟.

فقال: يابنى – والله – ما أعلم أن هناك أحدًا من الناس بقى على ظهر الأرض

مستمكًا بما كنا عليه... ولكنه قد أظل زمان يخرج فيه بأرض العرب نبى يبعث بدين إبراهيم ثم يهاجر من أرضه إلى أرض ذات نخل بين حارتين، وله علامات لا تخفى... فهو يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة.. وبين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل. وثم وافاه الأجل، فمكثت بعده «بعمورية» زمنا إلى أن مر بها نفر من تجار العرب من قبيلة «كلب»، فقلت لهم: إن حملتمونى معكم إلى أرض العرب أعطيتكم بقراتى هذه وغنيمتى، فقالوا: نعم نحملك، فأعطيتم إياها وحملونى معهم حتى إذا بلغنا (وادى القرى) غدروا بى وباعونى لرجل من اليهود، فالتحقت بخدمته ثم ما لبث ان زاره ابن عمه من بنى (قريظة) فاشترانى منه، ونقلنى معه إلى (يثرب) فرأيت النخل الذى ذكره لى صاحبى (بعمورية)، وعرفت المدينة بالوصف الذى نعتها به فأقمت بها معه.

وكان النبى ﷺ حينئذ يدعو قومه فى مكة، لكننى لم أسمع له بذكر لانشغالى بما يوجبه على الرق.

ثم ما لبث أن هاجر الرسول ﷺ إلى (يثرب)، فوالله إنى لفى رأس نخلة لسيدى أعمل فيها بعض العمل، وسيدى جالس تحتها إذ أقبل عليه ابن عم له وقال له: قاتل الله بنى «قيلة» (الأوس والخزرج) والله إنهم الآن لمجتمعون «بقباء»، على رجل قدم عليهم اليوم من مكة يزعم أنه نبى.

فما إن سمعت مقالته حتى مسنى ما يشبه الحمى، واضطربت اضطرابًا شديدًا حتى خشيت أن أسقط على سيدى، وبادرت إلى النزول عن النخلة، وجعلت أقول للرجل: ماذا تقول؟! أعد على الخبر... فغضب سيدى ولكمنى لكمة شديدة، وقال لى: ما لك ولهذا؟! عد إلى ما كنت فيه من عمل.

ولما كان المساء أخذت شيئًا من تمر كنت جمعته، وتوجهت إلى حيث ينزل الرسول ﷺ، فدخلت عليه وقلت له: إنه قد بلغنى أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندى للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم، ثم قربته إليه فقال لأصحابه (كلوا)... وأمسك يده فلم يأكل. فقلت فى نفسى: هذه واحدة.

ثم انصرفت وأخذت أجمع بعض التمر، فلما تحول الرسول ﷺ من «قباء» إلى المدينة جئته فقلت له إنى رأيتك لا تأكل الصدقة أكرمتك بها... فأكل منها وأمرأصحابه فأكلوا معه.

فقلت فى نفسى: هذه الثانية... ثم جئت رسول الله ﷺ وهو (ببقيع الغرقد) حيث كان يوارى أحد أصحابه، فرأيته جالسًا وعليه شملتان، فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره لعلى أرى الخاتم الذى وصفه لى صاحبى فى (عمورية).

فلما رآنى النبى ﷺ أنظر إلى ظهره عرف غرضى، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت فرأيت الخاتم، فعرفته فانكببت عليه أقبله وأبكى. فقال رسول الله ﷺ . . ما خبرك؟!).

فقصصت عليه قصتى، فأعجب بها، وسره أن يسمعها أصحابه منى، فأسمعتهم إياها، فعجبوا منها أشد العجب، وسروا بها أعظم السرور.

سلمان منا آل البيت:

وكان سلمان من المقربين إلى قلب رسول الله ﷺ حتى كان يقول فيه ﷺ: «سلمان منا آل البيت». وأخرج الحاكم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قالك دخل سلمان الفارسى على عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وهو متكئ على وسادة، فألقاها له، فقال سلمان صدق الله ورسوله، فقال عمر: حدثنا يا أبا عبد لله! قال دخلت على رسول الله ﷺ وهو متكىء على وسادة فألقاها إلىّ ثم قال لى يا سلمان ما من مسلم يدخل على أخيه المسلم فيلقى له وسادة إكرامًا له إلاغفر الله له.

وكان سلمان رضى الله عنه من أهل الشورى والرأى، يقول المباركفورى فى الرحيق المختوم: وسارع رسول الله ﷺ إى عقد مجلس استشارى أعلى تناول فيه موضوع خطة الدفاع عن كيان المدينة، وبعد مناقشات جرت بين القادة وأهل الشورى، اتفقوا على قرار قدمه الصحابى النبيل سلمان الفارسى رضى الله عنه. قال سلمان: يا رسول الله، إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا – وكانت خطة حكيمة لم تكن تعرفها العرب من قبل – وأسرع الرسول ﷺ إلى تنفيذ هذه الخطة فوكل إلى كل عشرة رجال أن يحفروا من الخندق أربعين ذراعًا.

وأشبع سلمان رضى الله عنه علمًا، أخرج البخارى فى صحيحه عن أبى جحيفة رضى الله عنه قال: آخى النبى ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء رضى الله عنهما، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء رضى الله عنها مبتذلة فقال لها ما شأنك؟ قالت: أخوك أبوالدرداء ليس له حاجة فى الدنيا، فجاء أبوالدرداء فصنع له طعامًا فقال كل! فإنى صائم، قال سلمان: ما أنا بأكل حتى تأكل، فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء

يقوم قال سلمان: نم! فنام ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان قم الآن! فصليا. فقال له سلمان إن لربك عليك حقًا ولنفسك عليك حقًا ولأهلك عليك حقًا! فأعط كل ذى حق حقه! فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبى ﷺ: صدق سلمان. وفى رواية لقد أُشبع سلمان علمًا.

- **زهد سلمان:**

أخرج أبونعيم فى الحلية ج١ ص١٩٨ عن عطية بن عامر قال: رأيت سلمان الفارسى رضى الله عنه أُكره على طعام يأكله، فقال حسبى! حسبى! فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول «أن أكثر الناس شبعًا فى الدنيا أطولهم جوعًا فى الآخرة، يا سلمان! إنما الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» وأخرجه العسكرى فى الأمثال نحوه.

وأخرج أبو نعيم فى الحلية أيضًا، عن الحسن قال كان عطاء سلمان رضى الله عنه خمسة آلاف درهم وكان أميرًا على زهاء ثلاثين ألفًا من المسلمين، وكان يخطب الناس فى عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها، وإذا خرج عطاؤه أمضاه، ويأكل من سفيف يده. وأخرج ابن سعد عن الحسن بنحوه.

وعند ابن سعد (ج٤ ص١٦٣) عن معن عن مالك بن أنس أن سلمان الفارسى رضى الله عنه كان يستظل بالفىء حيث ما دار ولم يكن له بيت فقال له رجل: ألا أبنى لك بيتًا تستظل به من الحر وتسكن فيه من البرد. فقال له سلمان رضى الله عنه: نعم. فلما أدبر صاح به فسأله سلمان كيف تبنيه؟ فقال أبنيه ان قمت فيه أصاب رأسك، وإن اضطجعت فيه أصاب رجلك. فقال سلمان نعم.

- **خوف سلمان الفارسى رضى الله عنه وبكاؤه على بسط الدنيا:**

روى الطبرانى عن رجل من بنى عبس قال: كنت أسير مع سلمان رضى الله عنه على شط دجلة فقال يا أخا بنى عبس! انزل فاشرب! فشربت فقال ما نقص شرابك من دجلة؟! فقلت ما عسى أن ينقص!، قال فإن العلم كذلك يؤخذ منه ولا ينقص، ثم قال اركب! فمررنا بأكداس من حنطة وشعير فقال: أفترى هذا فتح لنا وقتر على أصحاب محمد ﷺ لخيرلنا وشر لهم؟! قلت لاأدرى، قال ولكنى أدرى: شر لنا وخير لهم، ثم قال: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية حتى لحق بالله عز وجل.

وأخرج أبونعيم في الحلية ج١ ص١٩٥ أن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه دخل

على سلمان رضى الله عنه يعوده فبكى سلمان فقال له سعد ما يبكيك تلقى أصحابك وترد على رسول الله ﷺ الحوض وتوفى رسول الله ﷺ وهو عنك راض! فقال: ما أبكى جزعًا من الموت ولا حرصًا على الدنيا ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا فقال: «ليكن بلغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب!» وهذه الأوساد حولى (وإنما حوله إجانة [وعاء لغسل الثياب] وجفنة ومطهرة ونحوها) [وعند ابن حبان والطبرانى فجمع مال سلمان فكان قيمته خمسة عشر أو بضعة عشر درهمًا]. فقال له سعد: اعهد إلينا عهدًا نأخذ به بعدك! فقال له: اذكر ربك عند همك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند يدك إذا قسمت. أخرجه الحاكم أيضًا فى الترغيب ج٥.

فسلام على سلمان الفارسى يوم قام يبحث عن الحق فى كل مكان. وسلام على سلمان الفارسى يوم عرف الحق فآمن به أوثق الإيمان. وسلام عليه يوم مات، ويوم يبعث حيا.

التقويم

١- اذكر قصة سعى سيدنا سلمان الفارسى إلى الحقيقة.

٢- استخلص العبر والدروس المستفادة من مواقف ومآثر سيدنا سلمان الفارسى رضى الله عنه.

٣- وضح كيف تطبق هذه العبر والدروس فى واقعك الشخصى.

٤- وضح ما تعلمته شخصيًا من دراسة قصة سلمان الفارسى رضى الله عنه.

(*) للاستزادة من أخبار الصحابة أنظر:

١- صور من حياة الصحابة. د/ عبد الرحمن رأفت الباشا.

٢- حياة الصحابة محمد يوسف الكاندهلوى.

٣- عظماؤنا فى التاريخ د/ مصطفى السباعى.

٤- الإصابة.

٥- أسد الغابة.

٦- صفة الصفوة

٧- سير أعلام النبلاء.

الفصل السادس

الهدف العام
أن يكون لديه الرغبة لتغيير نفسه إلى الأحسن والمسارعة إلى ذلك

الأهداف المرحلية:

١- أن يدرك أن الإنسان بصفة عامة لديه استعداد للخير والشر.

٢- أن يوضح أهمية تغيير النفس إلى الأحسن وضرورته.

٣- أن يوضح صفات النفس البشرية وجوانب القصور فيها.

٤- أن يوضح وسائل تغيير النفس (تربية النفس).

● **الهدف المرحلى الأول : أن يدرك أن الإنسان بصفة عامة لديه استعداد للخير والشر .**

الأهداف الإجرائية السلوكية :

- أن يوضح استعداد النفس البشرية للخير والشر .
- أن يوضح أقسام الناس فى تعاملهم مع نفوسهم .

أ - استعداد النفس البشرية للخير والشر :

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ [الشمس : ٧- ١٠] ويقول أيضاً : ﴿ **فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ** ﴾ [النازعات : ٣٧- ٤١] .

(ومن خلال هذه الآيات وأمثالها تبرز لنا نظرة الإسلام إلى الإنسان بكل معالمها . . إن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد، مزدوج الاتجاه . ونعنى بكلمة مزدوج على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه (من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه)، مزود باستعدادات متساوية للخير والشر والهدى والضلال، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر . كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر سواء . وأن هذه القدرة كامنة فى كيانه يعبر عنها القرآن بالإلهام تارة ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾ [الشمس : ٧، ٨] ويعبر عنها بالهداية تارة ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾ [البلد : ١٠] فهى كامنة فى صميمه فى صورة استعداد، والرسالات والتوجيهات والعوامل الخارجية إنما توقظ هذه الاستعدادات وتشحذها وتوجهها هنا أو هناك، وهناك إلى جانب هذه الاستعدادات الفطرية الكامنة قوة واعية فى ذات الإنسان هى التى يناط بها التبعة، فمن استخدم هذه القوة فى تزكية نفسه وتطهيرها وتنمية استعدادات الخير فيها وتغليبه على استعدادات الشر فقط أفلح، ومن أظلم هذه القوة وخبأها وأضعفها فقد خاب ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ [الشمس : ٩، ١٠] [1] .

---

(١) الظلال تفسير سورة الشمس .

(ورحمة الله بالإنسان أنه سبحانه لم يدعه لاستعدادات فطرته، فأعانه بالرسالات التى تضع له الموازين الثابتة الدقيقة وتكشف له عن دلائل الخير فى نفسه وبذلك يتضح له الطريق فتتصرف القوة الواعية حينئذ على بصيرة وتختار الاتجاه الذى تسير فيه)(١).

(فعندما خلق الله تعالى النفس البشرية، خلق معها قوة الاستعداد لفعل الخير أو الشر، وجعل الإنسان قادراً على استعمال هذا الجهاز الذى أودعه فيه دون أن يكون مسيراً لطريق ما، بل له تمام الاختيار فى اختيار المنهج ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨] وترتب على هذه الحرية فى الاختيار الجزاء أو العقوبة يوم الحساب وذلك بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠] (٢).

(ولقد خلق الله لكل عبد من عباده نفساً أمارة بالسوء ليختبر مدى صدق عبوديته له. وجعل من أهم صفاتها الجهل والظلم والشح، فهى تميل إلى الشر وتفر من الخير ولا تحب المشقة وتكره التكليف. ولقد خلقها الله تعالى بهذه الصفات لتكون بمثابة المحك الرئيسى والميدان العملى لصدق عبوديتنا له. فلولا وجودها لصرنا كالملائكة لا نعصى لله أمراً. ولقد طالبنا الله عز وجل بجهاد أنفسنا ونصرته عليها لنفوز برضاه والجنة يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١](٣).

ب- أقسام الناس فى تعاملهم مع نفوسهم:

وقد انقسم الناس فى تعاملهم مع نفوسهم إلى ثلاثة أقسام:

١- مجاهد لنفسه:

وهو الإنسان الذى اتصف بالصفات والأعمال الآتية:

(١) الظلال.
(٢) منهج التابعين فى تربية النفوس.
(٣) ظاهرة الضعف النفسى - الهلالى.

* أيقن أن أكبر عائق عن تجريد عبوديته لربه هو نفسه التى بين جنبيه فهى أعدى أعدائه، فرفع راية الجهاد عليها ووقف لها بالمرصاد وحاسبها على الصغيرة والكبيرة.

* خالف هواه ولم يعط نفسه من الحظوظ إلا المباح بلا توسع يطغيها ولا منع يفسد عليه أعماله وعبادته. فقد باع نفسه لله فرحًا بالثمن الغالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

* غنى النفس قنوع لا يفرح إذا ما أقبلت الدنيا عليه، ولا يحزن إذا ما ولت عنه ولاينظر لمن فوقه من أهل الدنيا.

* يتوكل على الله ويرضى بقضائه ويقدم دائمًا مصلحة الدين على مصالحه الدنيوية. يتحرى الحلال ويبتعد عن الشبهات. حسن الخلق يحفظ الحرمات ويؤدى الأمانات ويفى بالوعود.

* لا يعتد برأيه ويتمثل دائمًا قوله الشافعى: (رأيى صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب).

* يتحرى السنة فى أفعاله وأقواله ويسارع دائمًا إلى التوبة والاستغفار.

٢- عبد لنفسه وهواه:

* فأصحاب هذا القسم قد سارعوا وراء أنفسهم وهواها لا يتخلفون عن طلب تطلبه ولا شهوة تريدها.

* هذا الصنف هالك لا محالة - إن لم تتداركه رحمة ربه - ولم لا؟ وقد استبدل عبادة ربه وخالقه ومولاه بعبادة نفسه وهواها، فانطبع حاله مع قوله الله عز وجل: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٣].

فنفسه تسوقه إلى الأرض بزخرفها ومباهجها فتمرغ في الشهوات وأطلق لبصره وفرجه العنان وملأ بطنه بكل ما تشتهيه نفسه دون النظر إلى حل ذلك أو حرمته.

* نفسه لا تطيق التكليف والمشقة فلا صلاة يحافظ عليها ولا صيام يلتزم به، ولا غير ذلك من العبادات، صار عبداً لنفسه أسيراً لها مكبلاً بشهواتها.

* لا يحب الخير إلا لنفسه ولا يعمل إلا فى سبيل مصلحته، شعاره (الغاية تبرر الوسيلة) .

* اتبع الشيطان فأصبح من جنده وحزبه ﴿**أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [المجادلة : ١٩] .

٣- يخالف نفسه تارة ويسير وراءها تارة أخرى :

فأصحاب هذا الصنف قد انتصروا على نفوسهم فى مواضع كثيرة وانتصرت عليهم فى مواضع أخرى . ففيهم الكثير من مظاهر القوة والضعف أمام نفوسهم . وهذا الضعف موجود بيننا والكثير منا - إن لم يكن أغلبنا - يندرج تحت هذا القسم وللأسف الشديد أن البعض قد خدعتهم مظاهر قوتهم أمام أنفسهم فى بعض المواضع، وبخاصة المحسوسة والمرئية، وظنوا أنهم قد انتصروا عليها انتصاراً تاماً . ولم ينتبهوا إلى أساليب خداعها . فمنعوا عنها حظوظها الظاهرة وساروا وراء حظوظها الخفية فانتصرت عليهم أنفسهم وساقتهم أمامها دون أن يشعروا بذلك .

ويخطىء من يظن أن المعركة مع النفس معركة سهلة وفى مجالات محدودة، بل هى معركة ضخمة لا تنتهى إلا بالموت، لذلك يجب علينا أن نداوم على محاسبة أنفسنا والتفتيش الدائم داخلها .

(ويؤمن المسلم أن سعادته فى كلتا حياتيه - الأولى والثانية - موقوفة على مدى تأديب نفسه وتزكيتها وتطهيرها . كما يؤمن المسلم أن ما تطهر عليه نفسه وتزكو هو حسنة الإيمان والعمل الصالح، وأن ما تخبث به النفس وتفسد هو سيئة الكفر والمعاصى، قال تعالى : ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ [هود : ١١٤] وقال عز وجل : ﴿**بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [المطففين : ١٤]، ومن أجل هذا يعمل المسلم دائما على تهذيب نفسه وتزكيتها وتطهيرها إذ هى أولى من يؤدب)[١] .

---

(١) منهاج المسلم .

التقويم

١- وضح استعداد النفس البشرية للخير والشر .

٢- وضح أقسام الناس فى تعاملهم مع نفوسهم .

٣- قف مع نفسك وقفة وحدد من أى أقسام الناس أنت فى تعاملك مع نفسك، وذلك من خلال مقارنتك لأخلاق كل صنف على نفسك . . محدداً بعد ذلك ما يجب عليك فعله .

• الهدف المرحلى الثانى : أن يوضح أهمية التغيير إلى الأحسن وضرورته

الأهداف الإجرائية السلوكية :

أ- أن يوضح عناية القرآن الكريم والسنة المطهرة بتزكية النفوس.

ب- أن يوضح حاجة الأمة إلى أهل التزكية.

أ- عناية القرآن الكريم والسنة المطهرة بتزكية النفوس :

فى القرآن الكريم :

إن عملية تغيير النفس إلى الأحسن وبتطهيرها وإصلاحها قد عنى بها القرآن عناية كبيرة، وأطلق عليها كلمة «التزكية»، وقد نوه القرآن العظيم بأهميتها وضرورتها فى مواضع كثيرة نذكر منها على سبيل المثال :

- قول الله تعالى : **﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾** [الشمس : ٧-١٠].

فقد وصف الله عز وجل من يسعى فى تزكية نفسه بالفلاح ووصف من يهملها ويدنسها ولا يسعى فى تزكيتها بالخيبة.

وقوله تعالى : **﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾** [آل عمران : ١٦٤] فقد امتن الله عز وجل على المؤمنين بإرسال رسول فيهم من أنفسهم من أبرز مهامه، ومن أبرز مقومات هذه المنة أنه يزكيهم، وجدير بالملاحظة فى هذه الآية أن الله عز وجل قدم التزكية على تعليم الكتاب والحكمة.

وقوله تعالى : **﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَن جَاءَهُ الأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾** [عبس ١- ١١]، فقد عاتب الله عز وجل رسوله ﷺ لإعراضه عن رجل أعمى جاءه يسعى إليه لطلب العلم.. لعله يزكى - والرسول إنما أعرض عنه لانشغاله بما يظنه أهم وأخطر

لمصلحة الدعوة وهو دعوته ﷺ لصناديد قريش رغبة فى إسلامهم وإسلام من وراءهم من قبائل العرب - ما هذا الأمر الجلل الذى استحق أن يعاتب فيه الله عز وجل رسوله الحبيب ﷺ ؟ إنها إشارة واضحة إلى ارتفاع منزلة من يحرص على تزكية نفسه وثقل وزن عملية التزكية ذاتها فى ميزان الحق سبحانه وتعالى.

- وقوله تعالى لسيدنا موسى : **﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾** [النازعات : ١٧- ١٩] فقد أرسل الله عز وجل سيدنا موسى إلى فرعون داعيا إياه إلى أن يتزكى (فهل لك أن تتطهر من رجس الطغيان؟ ودنس العصيان؟ هل لك إلى طريق الصلاة والبركة؟ هل لك أن أعرفك طريق ربك؟)(١) ولا يخفى أنه فى تلخيص رسالة سيدنا موسى عليه السلام إلى فرعون فى هذه الكلمة الموجزة ما يشير إلى مكانة التزكية وأهمية الحرص عليها.

وفى السنة المطهرة :

- كان من دعاء الرسول ﷺ : **(اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها)**(٢).

- وقوله ﷺ لربيعة الأسلمى الذى طلب منه مرافقته فى الجنة : **(أعنى على نفسك بكثرة السجود)**.

وفى الآثار :

- وفى وصية سيدنا أبي بكر الصديق لسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنهما : (أول ما أحذرك نفسك التى بين جنبيك).

- وكان عمر رضى الله عنه يقول : (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم وتزينوا للعرض الأكبر).

- وكان بعض الأئمة يقول : (مؤدب نفسه ومعلمها أولى بالإجلال عندى من مؤدب الناس ومعلمهم) تنويها بعلو شأنه واحترامه، وليس تقليلا من شأن تعليم الناس ودعوتهم.

- وهذا الحطيئة الشاعر يهجو الزبرقان بن بدر ببيت واحد فيغضب ويشكوه إلى عمر

---

(١) الظلال.

(٢) من حديث رواه مسلم عن زيد بن أرقم.

ابن الخطاب رضى الله عنه لأنه عابه بشىء شنيع لا يتحمله، ترى ما هذا الشىء الشنيع؟
قال له:

درع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد إنك أنت الطاعم الكاسى

أى لا شأن لك بمكارم الأخلاق ما دمت تأكل وتشرب وتكتسى، فلا تجهد نفسك فى تزكية ولا غيرها.. فنهاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن ذلك وهم بتعزيره لولا أن اعتذر له. لأن سبب تفضيل الله له على باقى المخلوقات هو معرفة الله والسعى إلى مرضاته مزكيا لنفسه، فإذا تخلى عن هذه الميزة واكتفى بالطعام والشراب والشهوات انحط إلى أقل من درجة البهائم.

وفى هذا يقول أبو حامد الغزالى رحمه الله: (وكما أن الفرس يشارك الحمار فى قوة الحمل ولكنه يتميز عليه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة، فيكون الفرس مخلوقا لهذا، فإذا تخلى عن ذلك انحط إلى درجة الحمار، كذلك الإنسان إذا تخلى عن سبب تكريمه واكتفى بمشاركة البهائم فى أفعالها)(١).

ب- حاجة الأمة إلى أهل التزكية(٢):

فقد عرفنا شيئًا عن أهمية التزكية ومكانتها فى الدين، أما رجالها المرابطون عليها علما وعملا فهم الروح الذى يسرى فى هذا الأمة فيحييها بإذن الله، وفى مثل هذا المعنى يقول الشهيد حسن البنا: (محال أن تنهض أمة بغير هذه اليقظة الحقيقية فى النفوس والأرواح والمشاعر، ولهذا استطيع أن أقول: إن أول مانهتم له فى دعوتنا، وأهم ما نعول عليه فى نمائها وظهورها وانتشارها هذه اليقظة الروحية المرتجاة، فنحن نريد أول ما نريد يقظة الروح، حياة القلوب، صحوة حقيقية فى الوجدان والمشاعر، وليس يعنينا أن نتكلم عما نريد بهذه الدعوة من فروع الإصلاح فى النواحى العملية المختلفة بقدر ما يعنينا أن نركز فى النفوس هذه الفكرة)(٣) وقد بين أن دواء امتنا فى كلمة واحدة هى (علاج النفوس وتقويم أخلاق الشعوب)(٤).

(١) الإحياء جـ٣ ص ٩ بتصرف بسير.
(٢) التزكية – نبيل حامد المعاز.
(٣) الرسائل (دعوتنا فى طور جديد).
(٤) الرسائل (المؤتمر الخامس).

وقد اقتضت حكمة الله عز وجل أن ترتبط عملية التزكية بإرادتك أنت لتغير من نفسك وأن تخطو أنت أولى خطواتها..

– فقد قال الله عز وجل ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١].

– (ويقول الله عز وجل: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾ [محمد: ١٧] وترتيب الوقائع فى الآية يستوقف النظر.. فالذين اهتدوا بدأوا هم بالاهتداء فكافأهم الله بزيادة الهدى وكافأهم بما هو أعمق وأكمل ﴿**وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾ والتقوى حالة فى القلب تجعله أبدا واجفا من هيبة الله، وشاعرا برقابته وخائفا من غضبه، متطلعا لرضاه متحرجا من أن يراه الله على هيئة أو فى حالة لا يرضاها.. هذه الحساسية المرهفة هى التقوى.. وهى مكافأة يؤتيها الله عز وجل من يشاء من عباده حين يهتدون هم ويرغبون هم فى الوصول إلى رضا الله عز وجل)(١).

– ويقول عز وجل عن قوم موسى عليه السلام: ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [الصف: ٥]. فقد زاغوا بعدما بذلت لهم كل أسباب الاستقامة فزادهم الله زيغا وأزاغ قلوبهم، فلم تعد صالحة للهدى وضلوا، فكتب الله عليهم الضلال أبدا ﴿**وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾.

– وفي هذا يقول الله عز وجل أيضا: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ**﴾ [الليل: ٥-١٠].

فالمفتاحان فى يدك والطريقان أمامك، ولك وحدك الاختيار فى إطار مشيئة الله سبحانه وتعالى.

– وفى الحديث القدسى عن رب العزة سبحانه: «**من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة**» فإذا صدقت فى خطواتك الأولى المباركة فى تزكية نفسك إرضاءً لله تعالى تداركتك العناية الإلهية، وقصرت لك الطريق وبلغتك مقصودك. يقول الله عز وجل: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا**﴾ [النساء:

(١) الظلال.

١٧٥] ويقول سبحانه: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٤].

فهيا سارع وانهض بعزم، واخْطُ بجد على طريق تغيير نفسك وإصلاحها مستعينا بربك، حتى فى هذه النهضة وتلك الخطوة الأولى فالله عز وجل يقول: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٢١].

تطبيق عملى

١- ادع الله تعالى فى كل سجود: اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

٢- احرص على حضور كل عمل يعينك على تزكية نفسك.

٣- الزم الصحبة الصالحة فإنها تزكى النفوس.

التقويم

١- وضح عناية القرآن الكريم والسنة المطهرة بتزكية النفوس.

٢- وضح حاجة الأمة إلى أهل التزكية.

● الهدف المرحلى الثالث: أن يدرك صفات النفس وجوانب القصور فيها

الأهداف الإجرائية السلوكية:

أ- أن يوضح أبرز أنواع النفوس التى ذكرها القرآن الكريم.

ب- أن يوضح بعض صفات النفس البشرية.

(إن لهذه النفس التى أودعها الله فينا صفات كثيرة وقد تتعدد الصفات المتضادة فى النفس الواحدة)(١) (فقد تكون النفس مطمئنة إلى ذكر الله ووعيده وأمره ونهيه ودينه ورسوله ﷺ، وقد تكون لوامة تلوم صاحبها على التقصير فى العبادة ولكنها تضعف أحيانا، وقد تكون أمارة بالسوء)(٢)، ولابد من معرفة أنواع الأنفس حتى نتمكن من التحلى بأحسنها ونتجنب أسوأها. وأبرز هذه الأنواع تلك التى ذكرها الله تعالى فى كتابه الكريم والتى منها(٣):

أ- من أنواع الأنفس التى ذكرها القرآن الكريم:

١- النفس الأمّارة بالسوء(٤):

(عندما يتحدث أهل التزكية عن النفس ومجاهدتها ومخالفتها فالمقصود بالنفس عندهم المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة فى الإنسان، أو الأصل الجامع للصفات المذمومة فى الإنسان)(٥) (وإذا أردنا أن ندرك خطورة النفس على الإنسان فلنقرأ قول الله تعالى عن قابيل: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٣٠]، وقوله تعالى على لسان يعقوب لأبنائه: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ [يوسف: ١٨] وقوله تعالى على لسان السامرى الذى صنع العجل لبنى إسرائيل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ [طه: ٩٦] وقوله تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٣].

---

(١) منهج التابعين فى تربية النفوس.
(٢) التزكية نبيل المعاز.
(٣) منهج التابعين.
(٤) المرجع السابق.
(٥) التزكية.

(أى لا أزكى نفسى ولا أنزهها، فإن النفس البشرية ميالة إلى الشهوات)[1] وفى تفسير القرطبى إن النفس مشتهية للسوء. (والأدلة على خطورة تسلطها على العبد وانقياده لشهواتها كثيرة جدا، لذلك يقول ابن القيم رحمه الله: «سائر أمراض القلوب تنشأ من النفس، فالمواد الفاسدة كلها إليها تنصب، ثم تنبعث منها إلى الأعضاء وأول ما تنال القلب». وقد استعاذ النبى ﷺ من شرها عموما ومن شر ما يتولد عنها من الأعمال.

وقد اتفق السالكون على أن النفس قاطعة بين القلب وبين الوصول إلى الرب وأنه سبحانه لا يدخل عليه ولا يوصل إليه إلا بعد قهرها ومخالفتها. وقال بعض العارفين: «انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بأنفسهم، فمن ظفر بنفسه أفلح ونجح ومن ظفرت به نفسه خسر وهلك» فقال تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ**﴾ [النازعات: ٣٧-٤١] (فالأصل أن النفس أمارة بالسوء والاستثناء هو غير ذلك، وهى مبعث البلاء والشقاء ومكمن الشر والفساد ومصدر الظلم والطغيان، وتحتاج إلى قوة إيمانية حتى تزكى ويكون هواها تبعا لشرع الله ويؤكد ذلك رسول الله ﷺ فيقول: «**ما تقولون فى صاحب لكم إن أنتم أكرمتموه وأطعمتموه وكسوتموه أفضى بكم إلى شر غاية وإن أهنتموه وأعريتموه وأجعتموه أفضى بكم إلى شر غاية**. قالوا: يا رسول الله: هذا شر صاحب فى الأرض. قال: **فوالذى نفسى بيده إنها لنفوسكم التى بين جنوبكم**[2]»[3].

فالنفس البشرية بطبيعتها ميالة إلى الشهوات، إلى من تعب فى تربيتها فانتقلت من الأمر بالسوء إلى الأمر بالخير، فتتغير طبيعتها الأمارة بالسوء لكثرة التربية إلى طبيعة أخرى وهى اللوم لاقتراف كل ما من شأنه الإبعاد عن رضا الله تعالى.

٢- النفس اللوّامة:

يقول الله تعالى: ﴿**وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾ [القيامة: ٢].

(قال قرة بن خالد عن الحسن البصرى فى هذه الآية: إن المؤمن والله لا نراه إلا يلوم نفسه، ما أردت بكلمتى؟ ما أردت بأكلتى؟ ما أردت بحديث نفسى؟ وأن الفاجر يمضى قدمًا ما يعاتب نفسه[4]. فالمؤمن دائما ينقى نفسه مما يعلق بها كل يوم من الأقوال والأفعال التى تؤخره عن دخول الجنة، ويصفها الإمام مجاهد أنها «هى التى تلوم على ما فات وتندم، فتلوم نفسها على الشر: لِمَ فعلته؟ وعلى الخير: لِمَ لا تستكثر منه؟» فهو يتذكر ماضيه البعيد والقريب، وما اقترف فيه من المعاصى، ويعتصر قلبه لذلك الماضى الأسود، فيندم أشد الدم على تضييع الأوقات فى غير طاعة الله، وعدم استغلالها فى مرضاته، ويندم على استسلامه لتزيين الشيطان، فهو فى محكمة دائمة مع نفسه اللوامة، لذلك فهى نفس حساسة حية تشعر بالحسن والقبيح.

يقول سيد قطب رحمه الله: «فهذه النفس اللوامة المتيقظة التقية الخائفة المتوجسة التى تحاسب نفسها، تتلفت حولها، وتتبين حقيقة هواها، وتحذر خداع ذاتها، هى النفس الكريمة على الله، حتى ليذكرها مع القيامة. ثم هى الصورة المقابلة للنفس الفاجرة. نفس الإنسان الذى يريد أن يفجر ويمضى قدمًا فى الفجور، والذى يكذب ويتولى ويذهب إلى أهله يتمطى دون حساب لنفسه، ودون تلوم ولا تحرج ولا مبالاة». وهو يستشعر دائمًا شر نفسه، فيكون محفزا منتبهًا أن تأخذه على حين غرة، فيذكر نفسه صباحًا ومساءً وقبل أن يأوى إلى فراشة: «**قل اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السماوات والأرض رب كل شىء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسى، وشر الشيطان وشركه**» فطلب المعونة للوقوف أمام نفسه هو أول ما يلجئه إلى الله، وإذا ما استمر على الالتزام بهذه الصفة، فإنها توصله إلى صفة أخرى، كنتيجة طبيعة لالتزامه بصفة اللوم، ألا وهى الطمأنينة.

٣- النفس المطمئنة:

يقول تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

يقول الإمام القرطبى: «النفس المطمئنة: الساكنة الموقنة، أيقنت أن الله ربها، فأخبتت لذلك».

وقال ابن عباس: أى المطمئنة لثواب الله.

وعن مجاهد: الراضية بقضاء الله، التى علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها.

---

(١) صفوة التفاسير ٢/ ٥٣.

(٢) رواه مسلم.

(٣) محاسبة النفس – د. حسين شحاتة.

(٤) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٤٥ – ٤٤٦.

وقال الحسن البصرى: إن الله تعالى إذا أراد أن يقبض روح عبده المؤمن، اطمأنت النفس إلى الله تعالى، وأطمأن الله إليها».

وأنى يكون لها تلك الصفات لولا المحاسبة الدائمة لكل لفظة أو خطرة أو لحظة أو خطوة، فإن هذا اللوم الدائم يعدل من مسارها حتى تستقر على الخط الأصيل، والصراط المستقيم، فلا تؤثر فيها رياح الفتنة وزينة الدنيا، وشدة البلاء، وتسويل الشيطان، فإنها تمزأ بذلك كله بطمأنينة المؤمن الموقن بقدر الله تعالى، والمستسلم لإرادته تعالى.

يقول سيد قطب رحمة الله عليه عن هذه النفس: «المطمئنة فى السراء والضراء، وفى البسط والقبض، وفى المنع والعطاء.. المطمئنة فلا ترتاب، والمطمئنة فلا تنحرف. والمطمئنة فلا تتلجلج فى الطريق. والمطمئنة فلا ترتاع فى يوم الهول الرهيب».

فإذا خاف الناس وإذا ارتعب الناس، وإذا سقط الناس وإذا جزع الناس، وإذا مال الناس، فهو أبداً ثابت كالجبل الأصم لا يغيره شيء، لطمأنينته التى غمرت جوانبه.

ب- من صفات النفس البشرية:

(إن لهذه النفس التى أودعها الله فينا صفات كثيرة، وقد تتعدد الصفات المتضادة فى النفس الواحدة).(1) والمطلوب شرعًا أن يربى المسلم نفسه على الصفات الحميدة، وأن يخلى نفسه من الصفات الذميمة.. ومن هذه الصفات:

١- الازدواجية فى النفس البشرية:

يقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠].

إن جهاز الاختيار الذى أودعه الله تعالى فى هذا الإنسان، جعله قادراً على فعل الخير أو الشر، وهو يحاسب يوم القيامة طبقًا لذلك، ولهذا فإن هذه النفس قابلة أن تتغير إما ناحية الخير أو ناحية الشر، وذلك بمقدار ما ينفق هذا الإنسان من جهد لتغييرها، فالتغيير للأحسن يسمى «التزكية» والتغيير للأسوأ يسمى «التدسية» ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] لأنه باختياره لم يتبع الحق فأصابه الشر.

(١) منهج التابعين فى تربية النفوس.

فكاذب من يدعى أنه غير قادر على فعل الخير والابتعاد عن الشر، لأن الله خلق فيه هذا الاستعداد، ويبقى القرار لهذا الإنسان باختياره للخير أو للشر. والازدواجية فى النفس البشرية هى الأصل فى خلق الإنسان، وليست هى صفة مستقلة بالمعنى التفصيلى.

٢- القدرة على التكليف:

يقول تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقر: ٢٨٦] فعندما خلق الله تعالى الاستعداد فى النفس البشرية لعمل الخير أو عمل الشر، صاحب ذلك خلق القدرة لعمل ذلك الخير المأمور به لكى يسهل عليها فعله.

يقول ابن كثير رضى الله عنه: «أى لا يكلف أحداً فوق طاقته، وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورأفته بهم وإحسانه إليهم، وهذه هى الناسخة الرافعة لما كان أشفق منه الصحابة فى قوله: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقر: ٢٨٤] أى هو وإن حاسب وسأل لكن لا يعذب إلا بما يملك الشخص دفعه، فأما ما لا يملك دفعه من وسوسة النفس وحديثها فهذا لا يكلف به الإنسان».

٣- التطويع:

فمن صفات النفس أنها تغرى الإنسان وتسهل فى عينه فعل الشر، وتنسيه فى ذات اللحظة عاقبة ما يقبل عليه، فيرى ذلك سهلاً فيقدم عليه، يقول تعالى عن قصة ابنى آدم قابيل وهابيل، عندما أقبل قابيل على قتل أخيه ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠]، يقول الإمام القرطبى: (أى سولت وسهلت نفسه عليه الأمر وشجعته وصورت له أن قتل أخيه طوع سهل له)(١).

٤- التسويل:

التسويل أو التزيين، أى أن النفس تزين لصاحبها فعل الخطأ، والزينة توضع على الشيء حتى تغير من صورته الحقيقية فتقبلها النفس.. يقول تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ

(١) تفسير القرطبى ٦/ ١٣٨ دار الكاتب.

سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: ٩٥، ٩٦]، يقول الإمام القرطبى: (أى ما أمرك وشأنك، وما الذى حملك على ما صنعت؟ قال: رأيت ما لم يروا، رأيت جبريل عليه السلام على فرس الحياة فألقى فى نفسى أن أقبض من أثره قبضة فما ألقيته على شىء إلا صار له روح ولحم ودم، فلما سألوك أن تجعل لهم إلهًا زينت لى نفسى ذلك(١).

وجاءت كلمة التسويل فى صورة يوسف عليه السلام، عند قول يعقوب عليه السلام ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨] وكذلك قال لهم نفس العبارة عندما أبقى يوسف أخاه الصغير عنده.

٥- الوسوسة:

والوسوسة هو الصوت الخافت الذى لا يسمعه الآخرون، لذلك كانت صفة من صفات النفس، وحديثها لصاحبها، وهذا الحديث قد يكون خيرًا أو شرًا، فإن كان ممن تعب فى تزكيتها فإنها تأمره بالخير، وإن لم يكن من أولئك، فإنها تحدثه وتغريه بالسوء.

التقويم

١- وضح أبرز أنواع النفوس التي ذكرها القرآن الكريم.

٢- اعرض نفسك على أنواع النفوس وحدد أين تقع نفسك، وما تنويه حيال ذلك

٣- وضح بعض صفات النفس البشرية.

---

(١) تفسير القرطبى ١١/ ٢٣٩

● الهدف المرحلى الرابع: أن يوضح وسائل تزكية النفوس

إن تزكية النفوس وتربيتها والرقى بها وإصلاحها مدخل إلى كل خير، وطريق إلى كل نجاح، وهو فى الوقت نفسه غاية عزيزة المنال، غالية الثمن، تحتاج إلى صدق العزم وشد الرحال وبذل الجهود، كما تحتاج إلى وسائل عديدة وجهاد طويل ومجاهدة لا تتوقف أملاً فى الوصول إلى مرضاة الله وإلى النفوس المطمئنة، وسوف نتناول هنا بعض أهم وسائل تزكية النفوس بشىء من التفصيل:

(١) الخوف من الله ونهى النفس عن الهوى:

الأهداف الإجرائية السلوكية:

أ- أن يوضح المقصود بالخوف من الله.

ب- أن يوضح أهمية الخوف من الله.

ج- أن يذكر نماذج من مراقبة النفس من حياة الصحابة والصالحين.

د- أن يقوم نفسه فى الخوف من الله والمراقبة له سبحانه.

أ- المقصود بالخوف من الله:

يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

أورد القرطبى قول مجاهد تعليقًا على هذه الآية: (وهو خوفه فى الدنيا من الله عز وجل عند مواقعة الذنب فيقلع)، ونهى النفس عن الهوى أى زجرها عن المعاصى والمحارم(١).

ويتعوذ ابن مسعود رضى الله عنه من زمان سيأتى بعده، يكون للهوى الدولة والصولة فيقول: (أنتم فى زمان يقود الحق الهوى، وسيأتى زمان يقود الهوى الحق، فنعوذ بالله من ذلك الزمان)(٢).

والخوف هو الأساس فى نهى النفس عن الهوى الذى يصحب صاحبه للمعصية، ولا

(١، ٢) القرطبى ١٩/ ٢٠٨.

يمكن أن يكون للإنسان القدرة الزاجرة للنفس عن الهوى دون خوف من الله يدفعه لذلك.

ب- أهمية الخوف من الله :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴾ [آل عمران : ٥] كما لا يغيب عنه سبحانه أى تصرف أو قول فى ليل أو نهار، يقول سبحانه : ﴿ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ [الرعد : ١٠] وكل ذلك محسوب لنا أو علينا، قال تعالى : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٤](١).

فالفرد المسلم يخشى الله سبحانه وتعالى فى كل تصرفاته وحركاته وسلوكه وهواجسه على دوام الأوقات، ويؤمن إيمانًا راسخًا بأن الله مطلع على ما يخفى وما يعلن، ولذلك يقوم بمقارنة ما ينوى القيام به من عمل مع أوامر الله ونواهيه، فينفذ العمل إذا كان صالحًا ولوجه الله خالصًا، ويجتنبه إذا كان فيه معصية أو إثم أو هوى نفس.

والقرآن الكريم حافل بالآيات الكريمة التى تدل على هذا المعنى فيقول الله - تبارك وتعالى- : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر : ١٩]، ويقول - جل شأنه - فى سورة أخرى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق : ١٤]، ويقول - سبحانه وتعالى- : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤]، ويقول الحكيم الخبير : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك :١٣، ١٤]، ويقول الله تعالى : ﴿ بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾ [القيامة : ١٣، ١٤].

ويقول - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ [البقرة : ٢٣٥]، ويقول عز وجل : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد : ٣٣].

وهذه الآيات تدل على أن النفس البشرية التى يؤمن صاحبها بالله ربًا، توقن بأنه جل شأنه، مطّلع عليها، عليم بأسرارها، رقيب على أعمالها، ولذلك يقوم الفرد بمراقبة نفسه

(١) فى رياض الجنة.

ذاتيا عن طريق ضميره الحى اليقظ، فيقوم بمقارنة ما يهم القيام به من فعل أو قول مع ما يجب القيام به فى ضوء الأحكام والقواعد المستنبطة من القرآن والسنة.. سواء كانت تتعلق بالعبادات أو المعاملات.. فإذا ما تأكد ضميره واطمأن قلبه إلى شرعية ذلك استخار الله - تبارك وتعالى -، ويقوم بتنفيذ ما ينوى القيام به قاصداً من وراء ذلك وجه الله سبحانه وتعالى ذاكرًا قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢].

والفرد المسلم المرتبط قلبه بالله والذى تخشع جوارحه لذكر الله، قادر على التحكم فى نفسه الأمارة بالسوء، ومتمكن من السيطرة على هواه، ولذلك يراقب نفسه بنفسه.. يخاف الله فى كل تصرفاته وسلوكياته، يقول الحق - تبارك وتعالى - فى هذا الخصوص : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ [البقرة:٢٣٥] ويقول أيضا فى سورة أخرى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك : ١٢] ويؤمن المسلم بأنه سوف يحاسب أمامه يوم القيامة.. ففى ذلك خير ووقاء له من الوقوع أو الاقتراب مما نهى الله عنه.

يقول سيد قطب رحمه الله : (والذى يخاف مقام ربه لا يقدم على معصية، فإذا أقدم عليها بحكم ضعفه البشرى قاده خوف هذا المقام الجليل إلى الندم والاستغفار والتوبة، فظل فى دائرة التوبة.

ونهى النفس عن الهوى هو نقطة الارتكاز فى دائرة الطاعة. فالهوى هو الدافع القوى لكل طغيان، وكل تجاوز، وكل معصية، وهو أساس البلوى، وينبوع الشر، وقل أن يؤتى الإنسان إلا من قبل الهوى. فالجهل سهل علاجه، ولكن الهوى بعد العلم هو آفة النفس التى تحتاج إلى جهاد شاق طويل الأجل لعلاجها.

والخوف من الله هو الحاجز الصلب أمام دفعات الهوى العنيفة. وقل أن يثبت غير هذا الحاجز أمام دفعات الهوى.(١).

والهوى عنيف شديد يغطى العقل، ويقيده فهو يحتاج إلى قدرة هائلة لهدمه، مرتكزة على الخوف من الله تعالى، والخوف من الفضيحة يوم القيامة، والشقاء فى الدنيا والآخرة، وهكذا كان التابعون يربون أنفسهم وأتباعهم على الخوف من الله تعالى

(١) الظلال.

متعادلاً مع رجاء عفوه ورحمته، وكان النبى ﷺ وهو رسول الله المؤيد بالوحى يقول: **«أنا أخوفكم لله»**(١).

– فالذى يخاف الله يتقى سخطه ويخشى عذابه، ويتحاشى الوقوع فى محارمه.

– والذى يخاف الله تعالى يغدو أطهر الناس قلبا وأزكاهم نفسا، وأدمعهم عينا وأسخاهم يدا، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: **«اللهم ارزقنى عينين هطالتين تشفيان القلب بذروف الدمع من خشيتك قبل أن تصير الدموع دما»**(٢)

ج- نماذج من مراقبة النفس من حياة الصحابة والصالحين:

● راعى الغنم وعمر بن الخطاب:

قال عبدالله بن دينار: خرجت مع عمر بن الخطاب إلى مكة فعرسنا ببعض الطريق، فانحدر علينا راعٍ من الجبل، فقال له عمر: يا راعى: بعنى شاة من هذه الغنم، فقال الراعى: إنى مملوك، فقال عمر: قل لسيدك: أكلها الذئب، فقال العبد: فأين الله؟ فبكى عمر، ثم غدا على سيد الراعى فاشتراه منه وأعتقه، وقال: أعتقتك فى الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تعتقك فى الآخرة.

(تتضمن هذه القصة معانى كثيرة من بينها أن الفرد المسلم الذى تربى وفقًا لمنهج الله لا يخاف من الناس، ولا تشدهم الدنيا ولا يغريهم المال لأن ما عند الله خير وأبقى، هؤلاء تربوا فى مدرسة الإسلام فأصبحوا يخشون الله ولا يخشون الحكام).

● بائعة اللبن وعمر بن الخطاب:

قال أسلم: «بينما أنا مع عمر بن الخطاب وهو يعس يتلمس أحوال رعيته بالمدينة.. فاتكأ على جانب جدار فى جوف الليل.. وإذا امرأة تقول لابنتها: قومى إلى ذلك اللبن فامذقيه (اخلطيه) بالماء، قالت الفتاة لأمها: أو ما علمت بما كان من عزم أمير المؤمنين؟ فقالت الأم: وماذا كان من عزمه يا بنية؟ قالت الفتاة: إنه أمر مناديه فنادى: لا يشاب (يختلط) اللبن بالماء، قالت الأم لابنتها ساخرة: يا بنيتى قومى إلي اللبن فامذقيه بالماء إنك فى موضع لا يراه عمر ولا منادى عمر، فقالت لأمها غاضبة: لا يا أماه ما كنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلاء. وهل يغيب عنا رب عمر، إذا غاب عمر؟ وقد سمع عمر هذا الحوار كله، فقال لأسلم: علم الباب: واعرف الموضع، ثم مضى عمر فلما

(١) البخارى.

(٢) الطبرانى.

أصبح قال: يا أسلم. أمض إلى الموضع فانظر من القائلة، ومن المقول لها. وهل لها من بعل (زوج). فأتيت الموضع فإذا الجارية لا بعل لها وكذلك أمها فأخبرت عمر، فجمع أولاده وقال لهم: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه؟ لو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية، وكان للجميع زوجات عدا عاصم بن عمر فتزوجها ثم ولدت له بنتًا وولدت هذه البنت عمر بن عبدالعزيز – رضى الله عنه –.

● قصة الشيخ والغلام والطير:

حكى أنه كان لبعض المشايخ تلميذ شاب، وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض أصحابه: كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ؟ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طائرًا وسكينًا وقال: ليذبح كل واحد منكم طائره فى موضع لا يراه أحد، ودفع إلى الشاب قبل ذلك وقال له كما قال لهم، فرجع كل واحد منهم بطائره مذبوحًا، ورجع الشاب والطائر حى فى يده، فقال: ما لك لم تذبح كما ذبح أصحابك؟ فقال: لم أجد موضعًا لا يرانى فيه أحد، إذ وجدت الله مطلعًا علىّ فى كل مكان، فاستحسنوا منه هذه المراقبة وقالوا: حق لك أن تكرم.

د- أن يقوِّم نفسه فى الخوف من الله والمراقبة له سبحانه:

فأين أنت أخى الحبيب من الخوف من الله؟ تذكر قبل أن تقدم على أى عمل: أنك مراقب وعلى كل شيء محاسب.. اختر الخانة التى توافقك.

م	البند	دائمًا	غالبًا	أحيانًا	نادرًا
	(الدرجة العظمى = ٢٠)	٤	٣	٢	١
١	استشعر فى خلوتى مع نفسى أن الله سبحانه يرانى				
٢	أعرف فى عملى ما هو لله وما هو لنفسى				
٣	أعرف أننى مراقب فى أعمالى وأستحيى ممن يراقبنى من الملائكة				
٤	أحسن عملى عندما أنتبه إلى أن الله مطلع على				
٥	أبيّن لغيرى معنى المراقبة والخوف من الله				

احسب درجاتك.. فإن وجدت خيراً فاحمد الله عليه، وإن وجدت غير ذلك فراجع نفسك في خشيتها لله.

التقويم

١ـ حدد وسائل تزكية النفس.

٢ـ وضح وسائل تزكية النفس.

٣ـ وضح المقصود بالخوف من الله.

٤ـ وضح أهمية الخوف من الله.

٥ـ اذكر نماذج من مراقبة النفس من حياة الصحابة والصالحين.

٦ـ قوم نفسك في الخوف من الله والمراقبة له سبحانه.

٧ـ اذكر نماذج عايشتها تمثل فيها الخوف من الله عزوجل، وما تأثير تلك النماذج على نفسك؟

٨ـ اذكر مواقف عملية عشتها كان للخوف من الله أثر فى تقويم سلوكك أو تدارك خطأ أوشكت على الوقوع فيه.

(٢) محاسبة النفس

الأهداف الإجرائية السلوكية:

أ - أن يوضح المقصود بمحاسبة النفس.

ب - أن يوضح أهمية محاسبة النفس.

جـ - أن يذكر نماذج من محاسبة الصحابة والصالحين لأنفسهم.

د - أن يتدرب على محاسبة النفس.

هـ - أن يقوِّم مدى محاسبته لنفسه.

أ - المقصود بمحاسبة النفس:

المحاسبة.. وهى من الحساب وتصفيته لمعرفة الأرباح من الخسائر(١).

وتعنى محاسبة النفس: أن يقوم الفرد من تلقاء ذاته بأن يحاسب نفسه بنفسه، أولاً بأول، عن أعماله وأحواله وسلوكه وتصرفاته، ما ظهر منها وما بطن، وحتى يكون على بصيرة من أمره وذلك فى ضوء المشروع، وأن يقوِّم نفسه بنفسه، إذا ما وجد انحرافًا وذلك قبل فوات الأمر، وانقضاء الأجل، والوقوف أمام الله - سبحانه وتعالى - للمحاسبة الأخروية، فمحاسبة النفس هى طريق المتقين، وزاد المؤمنين الصالحين، ومعيار الخوف من الله - سبحانه وتعالى - ، ومرشد السائرين إلى رب العالمين(٢).

ب - أهمية محاسبة النفس:

قال الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾ [الحشر: ١٨]. وهذه إشارة إلى محاسبة النفس.

[ولقد ربى الرسول - ﷺ - المسلمين الأوائل على المحاسبة الذاتية، وكان يحذرهم من شدة حساب الآخرة، فعرف هؤلاء أن الله لهم بالمرصاد، وأنهم سوف يحاسبون يوم القيامة على كل شيء، ولا ينجيهم من ذلك إلا المحاسبة الذاتية وصدق المراقبة، فمن

---

(١) مشروع برنامج تربوى لإصلاح النفس، د. عبد الحى الفرماوى.

(٢) محاسبة النفس، د. حسين شحاتة.

حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف يوم القيامة، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته، وطالت يوم القيامة وقفاته، فقد روى عن عبادة بن الصامت، أنه عليه الصلاة والسلام قال لرجل سأله أن يوصيه ويعظه، قال: (**إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته، إن كان رشداً فأمضه، وإن كان غياً فانته عنه**).

كما روى شداد بن أوس عن النبى – ﷺ – أنه قال: «**والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله – عز وجل –**»[1][2].

(والعاقل: من حاسب نفسه الآن قبل أن يحاسب، ومن طال حسابه لنفسه الآن نجا من أهوال الحساب يوم الحساب، وكلما كثرت محاسبة الإنسان لنفسه، قلت عيوبه، وكثرت ميزاته، ونجحت خطته فى إصلاح نفسه، ولذلك كان عمر رضى الله عنه يقول[3]: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، وتهيأوا للعرض الأكبر: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ**﴾ [الحاقة: ١٨])[4].

وكان الحسن رضى الله عنه يقول: المؤمن قوَّام على نفسه يحاسب نفسه.

وعن ميمون بن مهران أنه قال: (لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه، والشريكان يتحاسبان بعد العمل).

(ومن أهم سمات النفس المؤمنة الورعة الوجلة، المحاسبة على التصرفات والأفعال، ما ظهر منها وما بطن، وذلك حتى تتأكد أنها تسير على الطريق المستقيم الذى حدد معالمه القرآن الكريم، ووضحه رسول الله – ﷺ – وسار عليه السلف الصالح ومن والاهم، وحتى يبين لها الخطأ والانحراف عن ذلك الطريق فتعرف السبب وتعود إلى الحق، وتتمسك به، حتى لا تضل فتشقى. والمسلم الذى صح إسلامه هو القادر على محاسبة نفسه، والتحكم فى تصرفاته وأفعاله، والعاقل الكيس من لام نفسه وعاتبها إذا ما أخطأت، لأنه يخشى يوم الحساب الأعظم أمام الله الحسيب القدير.

[ويجب على المؤمن ألا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها فى حركاتها

(١) أحمد والترمذى.

(٢) محاسبة النفس.

(٣) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه.

(٤) مشروع برنامج تربوى إسلامى لإصلاح النفس، د. عبد الحى الفرماوى.

وسكناتها وخطراتها، فكل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة يمكن أن يشترى بها كنزاً من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد، فإضاعة هذه الأنفاس أو شراء صاحبها بها ما يجلب هلاكه، خسران عظيم لا يسمح بمثله إلا أجهل الناس وأحمقهم، وأقلهم عقلاً، وإنما يظهر له حقيقة هذا الخسران يوم التغابن، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

(وطالما كان المسلم عاملاً فى هذه الحياة ليل نهار على ما يسعده فى الدار الآخرة، ولما كانت الدنيا هى موسم عمله كان عليه أن ينظر إلى الفرائض الواجبة عليه كنظر التاجر إلى رأس المال، وينظر إلى الذنوب والمعاصى كالخسارة فى التجارة، ثم يخلو بنفسه ساعة من آخر النهار كل يوم يحاسب نفسه فيها على عمل يومه، فإن رأى نقصاً فى الفرائض لامها ووبخها وقام إلى جبره فى الحال. فإن كان مما يقضى قضاه فى الحال وإن كان مما لا يقضى جبره بالإكثار من النوافل، وإن رأى نقصاً فى النوافل عوض الناقص وجبره. وإن رأى خسارة بارتكاب المنهى عنه استغفر وندم وأناب وعمل من الخير ما يراه مصلحاً لما أفسد)[1]. هذا هو المراد من المحاسبة للنفس وهى إحدى طرق إصلاحها وتأديبها وتزكيتها وتطهيرها.

جـ – نماذج فى المحاسبة:

* وعن عمر – رضى الله عنه – أنه كان يضرب قدميه بالدرة إذا جن عليه الليل ويقول لنفسه: ماذا عملت اليوم؟

* وقال أنس بن مالك: سمعت عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – يومًا قد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطًا فسمعته يقول: وبينى وبينه جدار وهو فى الحائط: عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين: بخ بخ!! والله لتتقين الله أو ليعذبنك.

* وقال البحترى بن حارثة: دخلت على عابد فإذا بين يديه نار قد أججها وهو يحاسب نفسه ويعاتبها حتى مات.

* وقيل: كان ابن الصمة يحاسب نفسه يومًا وهو ابن ستين سنة، فحسب أيامها وهى أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: يا ويلتى! ألقى الملك بأحد وعشرين ألف ذنب وخمسمائة ذنب؟! كيف وفى كل يوم عشرة آلاف ذنب!! ثم خر مغشيًا عليه.

(١) منهاج المسلم.

* كان أحد التابعين يزيد فى عبادته وقرباته إلى الله حتى كان (إذا سجد تجىء العصافير تنقر على ظهره كأنه جذم حائط)[١]، ومع كل هذه العبادة فهو على خوف دائم، وبمحاسبة مستمرة لنفسه أن تكون أقواله غير مطابقة لأعماله حتى يجعله يقول: (ما عرضت قولى على عملى إلا خفت أن أكون مكذبًا)[٢]، بمثل هذه المحاسبة يستمر العمل ويزداد، فتحفظ النفس من الانحراف والانقلاب.

هكذا كان الصحابة والصالحون يحاسبون أنفسهم، فهلا اقتدينا بهم فى ذلك حتى ننجو من حساب يوم القيامة يوم يقال فيه: ﴿**اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**﴾ [الإسراء: ١٤].

د - أن يتدرب على محاسبة النفس:

ومحاسبة النفس أنواع، منها المحاسبة المتقطعة والتى تأتى بين فترات متباعدة، ومنها ما يعقب الخطأ الجسيم، ومنها المحاسبة الآنية وهى أفضلها حيث يحاسب المرء نفسه على كل خطأ تقع فيه، وهذه المحاسبة لا يمكن أن تبدأ دونما الانتباه واليقظة لتحركات هذه النفس واتهامها، فإن النفس خصم جاهل.

(فعندما سئل يحيى بن معاذ: من خصمك؟ قال: نفسى تبيع الجنة بما فيها من النعيم المقيم، بشهوة ساعة)[٣]. إنها خواطر النفس، عندما تزين للإنسان بهارج الدنيا، وتزين له فعل الشهوات، وتسهل له اقترافها، وتصغر فى عينه الجريمة، إنه صراع المؤمن مع نفسه الأمارة والتى تنسيه لذائذ الجنة كلها، وتعميه عنها، وتبرز له لذة الدنيا الفانية، هى التى تجعل الإمام يحيى بن معاذ يقول ذلك، وإلا فحاشا لمثله أن يبيع الجنة ونعيمها بشهوة ساعة. ذلك لأنه أدرك أن المحاسبة لا يمكن أن تتم دون الالتفات لهذه النفس واتهامها.

يقظة دائمة:

هكذا يجب على المسلم أن ينتبه لنفسه فلا يترك لها مجالاً ولا بابًا تدخل عليه منه لتجره عن الصراط المستقيم، فهو يرى نفسه أقل الناس شأنًا فإذا رأى من هو أكبر منه

---

(١) الزهد لأحمد ٣٦٣.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٥/٦١.

(٣) صفة الصفوة: ٤/٩٤.

قال: هذا سبقنى بالإيمان والعمل الصالح فهو خير منى، وإذا رأى من هو أصغر منه قال: سبقته إلى الذنوب والمعاصى فهو خير منى، وإذا رأى إخوانه يكرمونه ويعظمونه قال: هذا فضل أخذوا به، وإذا رأى منهم تقصيراً قال: هذا ذنب أحدثته)[١].

فهو يحاصر نفسه فى جميع الأحوال، ولا يترك لها متنفسًا تتنفس فيه، ولا فرصة تصطاده فيها، وكلها مجالات واسعة للنفس البشرية، تجول فيها وتصول ولكن ليس عند المؤمن اليقظ لنفسه.

وتتم محاسبة النفس على النحو التالى:

١ - تحديد وقت المحاسبة فقد يكون فى كل لحظة أو ساعة أو فى آخر النهار أو نحو ذلك.

٢ - يقوم الفرد بحصر واسترجاع الأعمال والتصرفات التى تمت خلال هذه الفترة (يمكن الاستعانة بجدول للمحاسبة).

٣ - بيان جوانب الخير فى أعماله فيشكر الله - سبحانه وتعالى - على ذلك ويعمل على تنميتها وزيادتها، وبيان جوانب النقصان والخسران وهنا يلوم نفسه ويعاقبها ويقلع عن هذا النقصان ويجبر نفسه على تعويض ما فاته.

تطبيق عملى

لا تنم هذه الليلة قبل أن تجلس فى غرفتك منفردًا وتطفئ الأنوار وتغلق الأبواب لمدة نصف ساعة تحاسب نفسك خلالها على ما فعلت هذا اليوم. فإن كان خيرًا فقم وصل ركعتين شكرًا لله، وإن كان غير ذلك فتب إلى الله واعقد العزم على الخير.

هـ- هل أنت ممن يحاسبون أنفسهم؟

يمكن بالاستعانة بمثل الاستبانة التالية أن يقوِّم الفرد نفسه فى أمر المحاسبة ليدرك هل هو من المتيقظين لأنفسهم، أم من الغافلين عنها، أو بين ذلك فيتدارك ما فاته قبل فوات الأوان - فمازال أمامك الوقت لإصلاح نفسك - قبل أن يأتى الحساب الذى لا رجعة بعده.

---

(١) صفة الصفوة: ٣/٢٤٨، فلنبدأ بأنفسنا - الهلالى.

اختر الخانة التى توافقك واحسب درجاتك :

م	البنـــد	دائمًا	غالبًا	أحيانًا	نادرًا
	الدرجة العظمي = ٢٨	٤	٣	٢	١
١	أشعر كلما أقبلت على النوم أن نفسى قد لا تعود إلى الحياة				
٢	أشعر أنى كلما استيقظت أننى منحت فرصة جديدة لتحصيل الثواب				
٣	أشعر بخسارة كبيرة إن فاتنى فرض فرضه الله على				
٤	أحزن إن وجدت نفسى لم تزد فى فعل الخير عن الأمس				
٥	يعتزينى شعور بأننى موجود فى هذه الحياة بصفة مؤقتة				
٦	أذكر نفسى بأن الموت والحياة يتعاقبان يوميًا على الإنسان				
٧	أراجع عملى عند كل صلاة وأستغفر للتقصير				

إذا وجدت درجاتك أكثر من عشرين درجة فأنت ممن يحاسبون أنفسهم فاحرص على دوام ذلك واحمد الله عليه، وإذا كانت درجاتك أقل من ٤ أربع عشرة درجة فاحذر أن تكون في الغافلين وبادر بمحاسبة نفسك قبل فوات الأوان.

التقويم

١– وضح المقصود بمحاسبة النفس.

٢– وضح أهمية محاسبة النفس.

٣– اذكر نماذج من محاسبة الصحابة والصالحين لأنفسهم.

٤– كيف يمكن أن يتدرب الإنسان على محاسبة النفس.

٥– ما الأمور العملية من خلال ممارستك لأمر المحاسبة التى تنصح بها من يريد أن يتعلم محاسبة نفسه.

٦– اذكر مواقف عايشتها أو سمعت بها لأشخاص يحاسبون أنفسهم، وما أثر تلك المواقف علي نفسك.

٧– هل أنت ممن يحاسبون أنفسهم علي كل عمل؟ وهل تقف مع نفسك وقفة محاسبة فى نهاية كل يوم؟ إذا كانت الإجابة بلا أو أن هناك خللا فى الأمر، فما تنوى عمله حيال ذلك وبماذا تنصح نفسك.

(٣) التوبة إلى الله

الأهداف الإجرائية السلوكية:

أ- أن يوضح حقيقة التوبة إلى الله.

ب – أن يوضح وجوب التوبة إلى الله.

ج – أن يوضح شروط التوبة إلى الله.

د- أن يوضح فضل التوبة إلى الله.

هـ- أن يوضح كيف تكون التوبة إلى الله.

و- أن يقوِّم نفسه فى التوبة إلى الله.

أ- حقيقة التوبة:

(أعلم أن **التوبة**: عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمور مرتبة: **علم، وحال، وفعل**.

أما **العلم**: معرفة عظم ضرر الذنوب، وكونها حجاباً بين العبد وبين كل محبوب.

والحال: فإن القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم، فيسمى تألمه بسبب الفعل المفوت لمحبوبه ندماً.

والفعل: إذا غلب هذا الألم على القلب واستولى، انبعث بالحال وبالماضى وبالاستقبال.

أما تعلقه بالحال: فبالترك للذنب إذا كان ملابساً.

وأما بالاستقبال: فبالعزم على ترك الذنب إلى آخر العمر.

وأما بالماضى: فبتلافى ما فات بالخير وبالقضاء إن كان قابلاً للخير.

وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى للندم وحده. وبهذا الاعتبار قال عليه الصلاة والسلام: «**الندم توبة**» رواه ابن ماجة وابن حبان والحاكم من حديث أنس، وقال: صحيح

على شرط الشيخين. إذ لا يخلو الندم عن علم أوجبه وأثمره، وعن عزم يتبعه ويتلوه). (١).

(والمراد بالتوبة التخلى عن سائر الذنوب والمعاصى والندم على كل ذنب وتقصير سالف، والعزم على عدم العودة إلى الذنب فى مقتبل العمر). (٢)

ب – وجوب التوبة إلى الله:

– يقول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾** [التحريم: ٨]

– ويقول تعالى: **﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [النور: ٣١]

– ويقول عز وجل أيضاً: **﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** [الحجرات: ١١]

– ويقول عز وجل أيضاً: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾** [البقرة: ٢٢٢]

– وقوله ﷺ: **«يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة»**(٣)

– وقوله عليه الصلاة والسلام: **«التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له»**(٤)

وقد أجمع علماء الأمة الإسلامية على وجوب التوبة. قال القرطبى رحمه الله: «واتفقت الأمة على أن التوبة فرض على المؤمنين» الجامع لأحكام القرآن ٥ / ٩٠.

وقال ابن قدامة المقدسى رحمه الله فى كتاب مختصر منهاج القاصدين: «الإجماع منعقد على وجوب التوبة لأن الذنوب مهلكات مبعدات عن الله تعالى، فيجب الهروب منها على الفور».

وهذا لأن كل إنسان – بدون استثناء – معرض للخطأ والزلل. قال رسول الله ﷺ: «**كل بنى آدم خطّاء وخير الخطّائين التوابون**» رواه الترمذى وابن ماجة وغيرهما.

(١) كتاب التوبة – الإمام أبى حامد الغزالى.

(٢) منهاج المسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه ابن ماجة من حديث ابن مسعود.

ج- وللتوبة شروط :

ذكر العلماء شروطاً للتوبة وهى مأخوذة من الآيات والأحاديث الصحيحة وهى :

١- الندم على اقتراف الذنب . قال ﷺ : « **الندم توبة** » رواه أحمد وغيره .

٢- ترك الذنب .

٣- العزم على عدم العودة لفعله مرة أخرى .

٤- إرجاع الحقوق المترتبة أو المأخوذة نتيجة لهذا الذنب، أو طلب المسامحة، أو التنازل من أصحاب الحقوق، وذلك إذا كان الذنب فى حق العباد .

وينبغى على التائب أن يراجع نفسه وأن يفتش فيها عما وقع فيه من معاص وذنوب فيما بينه وبين الله، وما بينه وبين العباد، كما عليه أن ينظر إلى مقادير ذنوبه، فيطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها، فيأتى من الحسنات بمقدار تلك السيئات ويزيد . قال الله تعالى : **﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾** [هود : ١١٤] . وقال ﷺ : « **واتبع السيئة الحسنة تمحها** » .

كما يجب علي التائب أن تكون توبته خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى، لا لغرض آخر، أو لعدم القدرة على فعل الذنب، فلا يعتبر تائباً من ترك السرقة مثلاً لأنه لم يجد ما يسرقه، ولا لمن ترك شرب الخمر لأن الطبيب حذره من أضراره أو لأنه لم يجده متوفراً عنده .

التائبون طبقات أربع :(١)

- **ذو النفس المطمئنة :** يتوب ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره، ويتدارك ما فرط من أمره، ولا يحدث نفسه بالعودة إلى ذنوبه، وهذه هى التوبة النصوح .

- **ذو النفس اللوامة :** يتوب فيسلك طريق الاستقامة فى أمهات الطاعات، ويترك كبائر الفواحش كلها، لكنه يبتلى أن يقع فى أحوال ذميمة من غير أن يقدم عزما على الإقدام عليها، لكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف، وجدد عزمه على أن يحترز من الأسباب التى تفضى إليها .

(١) فى رياض الجنة .

- **ذو النفس الضعيفة :** يتوب ويستمر مدة على الاستقامة، ثم تغلبه شهوة يقدم على بعض الذنوب قصدا وعمدا، ثم يندم ويأمل لو قدره الله عزوجل فكفاه هذا الشر، ولكن نفسه تسول له فيسوف توبته مرة بعد أخرى .

- **ذو النفس الأمارة بالسوء :** يتوب ويجرى مدة على الاستقامة ثم يعود إلى مقارفة الذنب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة، ومن غير أن يتأسف على فعله، وهذا الصنف يخاف عليه من سوء الخاتمة والعياذ بالله .

د - فضل التوبة إلى الله :

١- التوبة تمحى عنك الذنوب :

قال عليه الصلاة والسلام : « **التائب من الذنب كمن لا ذنب له** » رواه ابن ماجة وغيره .

٢- التوبة تبدل السيئات إلى حسنات :

يقول الحق سبحانه وتعالى : **﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾** [الفرقان : ٧٠]

٣- التوبة سبب في الحياة المطمئنة وفى سعة الرزق والقوة :

قال تبارك وتعالى : **﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾** [هود : ٣]

وقال أيضا على لسان نبيه نوح : **﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾** [نوح ١٠- ١٢]

٤- التوبة تطهر قلب التائب :

لقول رسول الله ﷺ : « **إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه، وهو الران الذى ذكر الله تعالى : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾** »(١)

(١) رواه أحمد والترمذى وغيرهما .

٥- التوبة سبب الفلاح في الدنيا والآخرة :

ويدل علي ذلك قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ** ﴾ [القصص : ٦٤]

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ **إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا** ﴾ [مريم : ٦٠]

هـ - كيف أتوب ؟

*** احذر أن تستصغر ذنباً مهما كان يسيراً :**

إن أول خطوة تخطوها في التوبة هى أن تقلع فوراً عن الذنوب - صغيرها وكبيرها - لأن الذنوب الصغيرة إذا اجتمعت عليك دون أن تتوب منها قد تهلكك . قال ﷺ : «**إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد ، فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود ، حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم ، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه**»(١) وفى رواية أخرى : «**إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه**» . فيا أخى الحبيب لا تنظر إلى هوان المعصية ولكن انظر إلى عظم من عصيت .

كما أن هناك ذنوباً قد يراها عامة الناس صغيرة لكثرة وقوعها ، ومجاهرة الناس بها ، ولكنها عند المؤمن وعند الله عظيمة . ففى مسند الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : «إنكم لتعملون أعمالاً هى فى أعينكم أدق من الشعر ، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات» (أى المهلكات) .

وتأمل معى قول رسول الله ﷺ : «**إن الرجل ليلقى بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً يهوى بها فى النار سبعين خريفاً**» .

*** واحذر المجاهرة بالذنوب وإخبار الناس بما اقترفته من ذنوب ، ولو كانت فى الماضى :**

وذلك لقول رسول الله ﷺ : «**كل أمتى معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله تعالى فيقول : يا فلان لقد عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عنه**»(٢)

(١) رواه أحمد وغيره .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

ومن أحد الأسباب التى تجعل المجاهرة بالذنب ذنباً آخر هو أن المجاهرة بالذنوب تعين على استسهال الناس واستصغارهم لها ، وتساعد على إشاعة الفاحشة بين الناس . قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النور : ١٩]

وهذا لا يعنى أن يتهاون الإنسان بالمعاصى إذا خلا بنفسه طالما لا يحدث أحداً بها . وفي هذا يحذر الرسول ﷺ : «**لأعلمن أقواماً من أمتى يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء ، فيجعلها الله هباءً منثوراً ، أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ، ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**»(١) .

فاحذر من المجاهرة بالمعصية واحذر الاستهانة باقتراف المعاصى عندما تخلو بنفسك فالله يعلم ما نسر وما نعلن والله بكل شىء عليم .

*** احذر - رحمنى الله وإياك - من تأخير التوبة وتسويفها :**

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ** ﴾ [الزمر : ٥٤]

فلا تدرى متى يدركك الموت وعندها لا ينفع التوبة . قال ﷺ : «**إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(٢)

فسارع إلى التوبة من كل ذنب ولا تؤجل . قال ﷺ : «**ما من عبد يذنب ذنباً فيتوضأ ، فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ، ثم يستغفر الله بذلك الذنب إلا غفر الله له**»(٣) .

*** واحذر من الإصرار على الذنوب :**

لقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٣٥] .

(١) رواه ابن ماجة .

(٢) رواه أحمد والترمذى .

(٣) رواه أحمد وغيره .

* **واحذر من القنوط من رحمة الله :**

فقد قال الحق تبارك وتعالى : ﴿ **وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ** ﴾ [الحجر : ٥٦] . وقال أيضاً : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر : ٥٣]

* **واتبع السيئة الحسنة تمحها :**

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾ [هود : ١١٤]، وقال : ﴿ **إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [الفرقان : ٧٠]

وكما قال الله تعالى فى الحديث القدسى الذى رواه الإمام مسلم فى صحيحه : «**ومن تقرب منى شبراً تقربت منه ذراعًا ، ومن تقرب منى ذراعاً تقربت منه باعاً ، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة**» . وفى هذا قال الإمام ابن تيمية رحمه الله : « .. الكيس هو الذى لا يزال يأتى من الحسنات بما يمحو السيئات » . فأحسن الظن بأرحم الراحمين وسر إلى الله تائباً مستغفراً متيقناً بأنه لا ملجأ من الله إلا إليه، وسارع إلى فعل الخيرات، ورفقة عباده الصالحين التى تعينك على فعل الخيرات، ولا تجالس رفقاء السوء الذين يسهلون فعل المنكرات، وداوم على ذكر الله سبحانه وتعالى فى جميع الأحوال، فذكر الله من أعظم الأسباب المعينة على طرد الشيطان . كما أن عليك أن تسعى لمعرفة مكفرات الذنوب للعمل بها ونذكر منها :

– **إسباغ الوضوء والمشى إلى المساجد** : لقول رسول الله ﷺ : «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات؟** قالوا : بلى يا رسول الله . قال : **إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد ،وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط**»(١)

– صيام يوم عرفة وعاشوراء : لقول الرسول ﷺ : «**صيام يوم عرفة ، إنى احتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده ، وصيام يوم عاشوراء ، إنى أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله**»(٢)

(١) رواه مالك ومسلم

(٢) رواه الترمذى

– قيام شهر رمضان : لقول الرسول ﷺ : «**من قام رمضان إيمانا واحتساباً ، غفر له ما تقدم من ذنبه**»(١)

– الحج المبرور : لقول الرسول ﷺ : «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»(٢)

– بذل السلام وحسن الكلام : قال ﷺ : «**إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام**»(٣)

– المحافظة على الصلوات الخمس والجمعة وصيام رمضان : قال ﷺ : «**الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**»(٤)

– أذكار تكفر الذنوب : مثل قوله ﷺ : «**من أكل طعاماً ثم قال : الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٥)، وأيضاً : «**من لبس ثوباً ، فقال : الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٦) . وكثير من أدعية أحوال اليوم والليلة وأذكار الصباح والمساء وغيرها من أبواب الخير الكثيرة لا ينبغى أن تفوتنا والله وحده هو المستعان .

تطبيق عملى

١– ادع الله أن تكون نفسك من النفوس المطمئنة .

٢– قم فصل ركعتين ثم استغفر الله من ذنبك الذى اقترفت .

٣– اعزم على عدم العودة إلى أى ذنب أو تقصير من الآن، وادع الله أن يعينك على ذلك .

٤– داوم على ذكر دعاء « سيد الاستغفار » (اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت وأبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبى، فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) ثلاث مرات صباحا ومساء .

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه الخرائطى وصححه الألبانى .

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه الترمذى .

(٦) رواه أبو داوود .

أن يقوم نفسه فى التوبة إلى الله :

استعن بهذه الاستبانة فى الوقوف على حالك فى أمر التوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، ويمكن أن تضيف إليها بعض مما ذكر فى النقطة السابقة - كيف أتوب؟- وأن تقوم درجاتك وتراجع حالك وتقوم من تقصيرك فخير الخطائين التوابون .

م	البنـــد	دائمًا	غالبًا	أحيانًا	نادرًا
	الدرجة العظمى = ٤٤	٤	٣	٢	١
١	أشعر بأن الذنب يباعد بينى وبين الله				
٢	تلومنى نفسى عندما أفعل ذنبا كاشفة لى ضرره				
٣	آخذ نفسى بالوسائل التى تمنعها من العودة إلى اقتراف الذنب				
٤	لا أتعمد ارتكاب ذنب تبت عنه قبل ذلك				
٥	أتمنى لو لم أرتكب الذنب				
٦	أحرص على تحقيق شروط التوبة				
٧	أحرص على تكرار التوبة والاستغفار مرات كثيرة فى اليوم				
٨	أتعمد أن يكون لى توبة بالنهار وأخرى بالليل				
٩	أتوقف عن عمل الذنب عند التذكر				
١٠	أصمم على ترك الذنب لآخر العمر				
١١	أعالج أثر الذنب الماضى بالتعويض أو بقضاء ما فات				

التقويم

١- وضح حقيقة التوبة إلى الله .

٢- وضح وجوب التوبة إلى الله .

٣- وضح شروط التوبة إلى الله .

٤- وضح فضل التوبة إلى الله .

٥- وضح كيف تكون التوبة إلى الله .

٦- قوم نفسك فى التوبة إلى الله .

***

(٤) ذكر الموت

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

أ – أن يوضح الدارس أهمية ذكر الموت .

ب– أن يوضح الدارس الأمور التي تعين على الاستعداد للموت .

ب– أن يذكر الدارس الأمور العملية التي تجعله يذكر الموت .

إن من أعظم وسائل تزكية النفوس ذكر الموت والاستعداد له، فمن تفكر بأن ملك الموت على عتبة بابه فعليه أن يتجهز للرحيل معه إلى الجنة أو النار، فما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، والموت حق لابد منه، وكأس كل الناس شاربه، يقول الحق سبحانه وتعالى: **﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾** [ق : ١٩– ٢٢] .

والدنيا دار عمل والآخرة دار حساب فتزود يا أخى لمعادك، وأكثر من زادك، قبل فوات الأوان . قال عز وجل: **﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾** [المنافقون : ١٠] .

برقيات قبل الوصول [١] :

قد أرسل إليك زائرك (الموت) برقيات تعلمك بقرب وصوله، ودنو أجلك فهلا استعددت لاستقباله.. أما البرقيات فهى:

١– المرض :

دخل الناس يعودون محمد بن واسع فى مرض موته، فقال: يا إخوتى.. يا إخوتى.. هبونى وإياكم سألنا الله الرجعة فأعطاكموها ومنعنيها.. فلا تخسروا أنفسكم.

ولما مرض عبد الملك بن مروان مرض الموت جعل يلوم نفسه ويضرب بيده علي رأسه

(١) الزائر الأخير – د/ خالد أبو شادى.

ويقول: وددت أننى كنت اكتسبت يوماً بيوم ما يكفينى، وأشتغل بطاعة الله، فذكر ذلك لأبى حازم فقال: الحمد لله الذى جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه، ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه .

يا أخى: من استبعد موته، وأطال أمله، ونسى قبره فليقرأ موعظة الحسن البصرى حين قال: من لم يمت فجأة مرض فجأة، فاتقوا الله واحذروا مفاجأة ربكم .

إن الطبيب بطبه ودوائه ... لا يستطيع دفاع نحب قد أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذى ... قد كان أبرأ مثله فيما مضى
مات المداوِى والمداوَى والذى ... حمل الدواء وباعه ومن اشترى

٢– الشيب :

العمل قبل حلول المشيب، فإنه إن حل فقد تقصر الهمة وتخور القوة وتضعف الإرادة ولا تسعف الطاقة، فتسمع أحاديث فضائل الأعمال وتتمنى العمل فلا تستطيع. فهلا اغتنمت شبابك قبل هرمك كما أوصاك الرسول ﷺ .

رحم الله الحسن البصرى حين أيقظ الشيوخ بقوله: يا معشر الشيوخ.. ما ينتظر بالزرع إذا بلغ؟! قالوا: الحصاد. وأيقظ الشباب بقوله: يا معشر الشباب.. إن الزرع قد تبلغه العاهة قبل أن يبلغ.

٣– فراق الأحبة :

كان الرجل من السلف يبلغه موت أخ من إخوانه فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون. كدت والله أن أكون أنا السواد المختطف، فيزيده الله بذلك جداً واجتهاداً .

وجاء رجل إلى الفضيل بن عياض فقال له: أوصنى، قال: هل مات والدك؟ قال: نعم. قال: فقم عنى، فإن من يحتاج إلى من يعظه بعد موت والديه لا تنفعه موعظة. وقد قيل: كفى بالموت واعظاً .

٤- الواعظ الصامت (القبر):

أخي الحبيب.. كم مرة استمعت فيها لوعظ القبور؟! كم مرة زرتها؟! هل فكرت فى قبرك..؟! وماذا أعددت له من رفيق؟ فأكثر من زيارة القبور فإنها تذكر بالآخرة.

قال رسول الله ﷺ: **«كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكر بالآخرة»** حديث صحيح.

كيف تذكر الموت؟

- لا يكون الرجل ذاكراً للموت حتى يذكر الموت بلسانه وبقلبه وجوارحه.

- عندما تأوى إلى فراشك للنوم كل ليلة فاذكر الموت، ففى دعاء النوم: باسمك اللهم أحيا، وباسمك أموت،وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور.

- أكثر من زيارة المرضى وأصحاب البلاء والمستشفيات فإنها تذكر الموت.

- إذا مات قريب لك أو حبيب لك فاحرص على حضور غسله وتكفينه.

- جهز كفنك وحنوطك في حياتك فلا تدرى متى تكون ساعتك.

- جهز وصيتك الشرعية وأعلم أهلك بها.

- لا تصرف جزءاً من وقتك فى عمل تندم عليه بعد الموت، وتذكر أنك محاسب عليه بعد موتك.

- إذا صليت فصل صلاة مودع وكأنها آخر صلاة.

- أنفق اليوم من مالك فى سبيل الله قبل أن يوزع على ورثتك غدا وتحاسب عليه.

- احرص على زيارة القبور، وخاصة قبور من تعرف من أحبابك وأرحامك، ومن كنت تعايشهم وسبقوك.

- احرص على تشييع الجنائز.

التقويم

أ- وضح أهمية ذكر الموت.

ب- وضح الأمور (البرقيات) التي تجعل الإنسان يستعد للموت.

جـ- اذكر الأمور العملية التى تذكِّر الإنسان بالموت.

د- وضح الأمور العملية التى تأخذ بها شخصياً للاستعداد للموت.

(٥) الدعاء

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

أ – أن يوضح الدارس أهمية الدعاء وفضله .

ب– أن يذكر الدارس آداب الدعاء .

أهمية الدعاء وفضله :

الدعاء من أبرز الطرق التى تزكى النفوس، بل إن الرسول ﷺ يقول : «**الدعاء هو العبادة**»(١) والدعاء كجهاز الشحن الذى يشحن القلب دائما بالقوة والرقة، وهو جزء من الذكر الذى يذكر الإنسان بخالقه سبحانه وتعالى، واللجوء إليه، وبضعفه البشرى، وبأعدائه الذين بين جوانحه، ومن بينهم هذه النفس الأمارة بالسوء .

ونلحظ حرص الصديق رضى الله عنه فى تعلم ما يزكى هذه النفس، من النبع الصافى، وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه أن أبا بكر الصديق قال لرسول الله ﷺ : «مرنى بشىء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت . قال : «**قل اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السماوات والأرض رب كل شىء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسى، وشر الشيطان وشركه**»(٢)

وفى حديث أبى راشد الحدرانى زيادة : «**وأن أقترف على نفسى سوءاً أو أجره إلى مسلم**»(٣)

يقول الإمام ابن القيم : «قد تضمن هذا الحديث الاستعاذة من الشر وأسبابه وغايته، فإن الشر كله إما أن يصدر من النفس، أو من الشيطان، وغايته إما أن يعود على العامل، أو على أخيه المسلم . فتضمن الحديث مصدرى الشر الذى يصدر عنهما، وغايته اللتين يصل إليهما»(٤) . وكون هذه الوصية من أتقى الناس لأحب الناس إليه ليلتزم بها صباحاً ومساءً، إنما يدل على أهمية طريق (الدعاء) فى تربية النفوس .

---

(١) رواه أحمد وصححه الألبانى .

(٢) رواه أحمد والترمذى وصححه الألبانى .

(٣) الترمذى .

(٤) فيض القدير ٤ / ٥٢١

ولم يكن هذا الدعاء هو الوحيد الذى يوصى به النبى ﷺ صحابته الكرام كطريقة لتربية النفس، بل إن المتصفح لأبواب الدعوات فى كتب الحديث يجد فيها كنوزاً عظيمة فى تربية النفوس .

*** مفتاح التوفيق :**

يقول الإمام ابن القيم : «أجمعوا أن التوفيق ألا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلى بينك وبين نفسك، فإذا كان كل خير فأصله التوفيق وهو بيد الله لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجوء والرغبة والرهبة إليه . فمتى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد الله أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقى باب الخير مرتجاً دونه»(١) . ولأن الدعاء هو مفتاح الخير والتوفيق كان التابعون يعتمدونه كأصل من أصول علاج هذه النفس، فمما يرويه ابن أبى رواد عنهم قوله : «رأيت طاووساً وأصحابه إذا صلوا العصر استقبلوا القبلة ولم يكلموا أحداً وابتهلوا فى الدعاء»(٢) .

*** التواصى فيما بينهم :**

وكانوا رضى الله عنهم يتواصون فيما بينهم للتمسك بهذا الأصل فى تربية النفوس، فمما يرويه مفتى مكة التابعى الجليل عطاء بن أبى رباح عن صاحبه طاووس قوله : «قال لى طاووس : يا عطاء لا تنزلن حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه، وجعل عليها حجابه، ولكن أنزلها بمن بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة، أمرك أن تدعوه وضمن لك أن يستجيب لك»(٣) .

لا شك أن هذا الجيل الشامخ كان يعرف أسباب الاستجابة، والتى منها إحلال المطعم واختيار الوقت المناسب، وأن يسبقه الثناء، وأن لا يدعو بقطيعة رحم وغيرها من أسباب الاستجابة، إلا أن أسرار الاستجابة الحسية التى لم يفطن لها الكثيرون بينها التابعون لتكون علامات لنا نستهدى بها، لمعرفة قرب الاستجابة من بعدها، أو القبول من الرفض . فقد جاء رجل لعالم اليمن التابعى الجليل الحافظ طاووس الكيسانى وقال له : «ادع الله لنا، قال : ما أجد لقلبى خشية، فأدعو لك»(٤)، فهو يريد من هذه الإجابة

---

(١) الفوائد ١٢٧، ١٢٨ – النفائس .

(٢) صفة الصفوة ٢ / ٢٨٨ .

(٣) أسرار الاستجابة .

(٤) سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٢ .

أمرين: أولهما: أن يتعلم السائل أن يدعو بنفسه، فليس بين الله والعبد حجاب، ويريد أن يربى نفسه بعدم الغرور بسبب مجئ الناس له وطلب الدعاء لهم. ومع ذلك فهو ليس بكاذب عندما أجاب بذلك، لأن الخشية هى السر الذى لا يعرفه الكثير عندما لا يستجاب لهم. ومما يرويه لنا التابعى ثابت البنانى عن أحد العباد قوله: «إنى لأعلم حين يستجيب لى ربى عز وجل. قال: فعجبوا من قوله، قالوا: تعلم حين يستجيب لك ربك؟ قال: نعم. قالوا: وكيف تعلم ذلك؟ قال: «إذا وجل قلبى واقشعر جلدى، وفاضت عينى، وفتح لى في الدعاء، فثم أعلم قد استجيب لى»(١)، وهذه الأسرار بمجموعها لا تخرج عما لخصه طاووس عندما أجاب ذلك السائل. ويؤكد طرفاً من هذه الأسرار قول أمير المؤمنين الفاروق بقوله: «إنى لا أحمل هم الإجابة، ولكن هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الاجابة معه».(٢)

من عجائب دعائهم:

وبسبب تلك الخشية التى تحدث عنها طاووس وثابت البنانى يلهمهم الله العجائب من الدعاء. فمما يروى عن زين العابدين قوله في دعائه «اللهم إنى أعوذ بك أن تحسن فى لوائح العيون علانيتى، وتقبح فى خفيات العيون سريرتى، اللهم ما أسأت وأحسنت إلى، فإذا عدت، فعد على».(٣) وكان من دعاء التابعى البصرى الزاهد الكبير طلق بن حبيب: «اللهم إنى أسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك، ويقين المتوكلين عليك، وتوكل الموقنين بك، وإنابة المخبتين إليك، وإخبات المنيبين إليك، وشكر الصابرين لك، ولحاقاً بالأحياء المرزوقين عندك».(٤) ولو تحرينا كل كلمة من دعائهم لاكتشفنا من وراء ذلك علماً عميقاً وخشية واضحة.

- آداب الدعاء:

وللدعاء آداب عديدة نذكر بعضاص منها لعلنا نلتزم بها في دعائنا إلى الله عز وجل:

- الثناء على الله عز وجل قبل الدعاء والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

---

(١) صفة الصفوة ٣/٢٦١.

(٢) الفوائد ١٢٧، ١٢٨ – النفائس.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/٣٩٦.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤/٦٠٢، ٦٠٣.

- حسن الظن بالله عز وجل.
- الوضوء واستقبال القبلة.
- العزم في المسألة والإلحاح في الدعاء.
- الدعاء ثلاثًا.
- الدعاء بجوامع الكلم والأدعية المأثورة عن الرسول ﷺ.
- أن يظهر الداعى التضرع والخشوع حال دعوته.
- أن يبسط الداعى يديه ويرفعها حذو منكبيه.
- أن يختم دعاءه بقوله «آمين».

التقويم

١- وضح أهمية الدعاء وفضله.

٢- أذكر آداب الدعاء.

٣- قوِّم مدي التزامك بآداب الدعاء.

المصادر:

١– فى ظلال القرآن – الشهيد سيد قطب .

٢– منهج التابعين فى تربية النفوس – أ/عبد الحميد البلالى .

٣– إحياء علوم الدين – الإمام/أبو حامد الغزالى .

٤– مختصر منهاج القاصدين – الإمام ابن قدامة المقدسى .

٥– منهاج المسلم – الشيخ/أبو بكر الجزائرى .

٦– ظاهرة الضعف النفسى – د/مجدى الهلالى .

٧– التزكية – أ/نبيل حامد المعاز .

٨– محاسبة النفس – د/حسين شحاته .

٩– مشروع برنامج تربوى إسلامى لإصلاح النفس – د/عبد الحى الفرماوى .

١٠– الرسائل (دعوتنا – المؤتمر الخامس) – الإمام الشهيد حسن البنا .

١١– تفسير القرآن العظيم – العلامة ابن كثير .

١٢– الجامع لأحكام القرآن – الإمام القرطبى .

١٣– فلنبدأ بأنفسنا – د/ مجدى الهلالى .

١٤– سير أعلام النبلاء للذهبى .

١٥– صفة الصفوة لابن الجوزى .

١٦– البداية والنهاية – ابن كثير .

الفصل السابع

الهدف العام

أن يرتبط فى معرفته للإسلام بمصدريه : القرآن والسنة ، وقدوته فى ذلك رسول الله ﷺ وذلك من خلال أحد يثق فيه ويتلقى منه

الأهداف المرحلية :

١ – أن يوضح مصادر معرفته للإسلام .

٢ – أن يوضح الدارس أهمية الاستعانة بمن هو أعلم منه فى فهم الإسلام .

٣ – أن يستعين فى معرفته للإسلام من هذه المصادر بأحد ممن يثق فى تقواه وعلمه .

٤ – أن يعمل على الاقتداء بالرسول ﷺ والسلف الصالح فى كل أحواله .

٥ – أن يعمل لتحقيق العبادة الشاملة .

● الهدف المرحلى الأول : أن يوضح مصادر معرفته للإسلام

الأهداف الإجرائية السلوكية :

أ – أن يوضح المصدر الأول لفهم الإسلام .

ب – أن يوضح المصدر الثانى لفهم الإسلام .

تميز الإسلام عن غيره من الشرائع الأخرى بأن المصدر الذى استقى منه هو الوحى الإلهى . . . اصطبغت بصبغته واشتملت على نوره ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا** ﴾ [الشورى : ٥٢] .

والوحى ما أوحى الله به سبحانه من كتاب وسنة، الأول بلفظه ومعناه، والثانى بمعناه دون لفظه . قال رسول الله ﷺ : « **تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى** » .(١) قال تعالى : ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٣٢] وقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ [النساء : ٥٩]، ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا** ﴾ [النساء : ٦٩]، ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [الحشر : ٧]، ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا** ﴾ [النساء : ٨٠] .

ويقول تعالى : ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ** ﴾ [المائدة : ٩٢] فالقرآن والسنة معًا هما المصدران الوحيدان لتعرف أحكام الإسلام وتعاليمه فى العقائد والتصورات . . . فى العبادات والتشريعات . . . فى الأخلاق والآداب . . . وفى شتى مجالات الحياة، لذا يجب على كل مسلم أن يفهم القرآن والسنة فهمًا صحيحًا . وهذا ما سنحاول توضيحه فيما يلى :

---

(١) رواه الحاكم وصححه فى مستدركه .

أ - المصدر الأول لفهم الإسلام (القرآن):

القرآن: [«هو كلام الله الذى نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله محمد بن عبد الله بألفاظه العربية، ومعانيه الحقة، ليكون حجة للرسول، ودستوراً للناس يهتدون بهداه، وقربة يتعبدون بتلاوته، وهو المدون بين دفتى المصحف، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس، المنقول إلينا بالتواتر كتابة ومشافهة جيلاً بعد جيل، محفوظاً من أى تغيير أو تبديل، مصداقاً لقوله تعالى: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** [الحجر: ٩] (١).

والقرآن وحى منزّل من عند الله عز وجل لفظًا ومعنًى **﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾** [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥] وقال عنه رسول الله ﷺ: **«فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، هو حبل الله المتين ونور الله المبين، وهو الذكر الحكيم والصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١، ٢] من علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم»** (٢).

إنه كتاب الله ذو الطبيعة المتفردة فأنى يحاط به؟!!

ب - المصدر الثانى لفهم الإسلام (السنة):

لئن كان القرآن العظيم هو المصدر الأول للتشريع فإن السنة المطهرة هى المصدر الثانى للتشريع لقول الحق سبحانه: **﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾** [النجم: ٣، ٤]، **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾** [الحشر: ٧] وهى: أى السنة جزء من الوحى قال ﷺ: **«ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه»** رواه السيوطى عن المقدام بن

(١) علم أصول الفقه د. عبد الوهاب خلاف.

(٢) جزء من حديث رواه الترمذى ج١ ص١٤٩، وأشار إليه القرطبى بالجامع لأحكام القرآن الكريم ج١ ص٥.

معد يكرب (حديث صحيح) وفى السنة توضيح للقرآن الكريم **﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾** [النحل: ٤٤].

والسنة: قول.. وفعل.. وتقرير.. وفى **تعريف السنة**: «أنها الطريقة والسيرة، وهى ما أمر به النبى ﷺ ونهى وندب إليه قولاً وفعلاً وأمراً، وأقره مما لم ينطق به الكتاب العزيز. (ولذا يقال فى أدلة الشرع والكتاب والسنة: أى القرآن والحديث)» (١).

والسنة أيضًا: [كل ما نقل عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير. فمثال القول: «**إنما الأعمال بالنيات..**» ومثال الفعل ما نقله الصحابة فى شئون العبادة وغيرها، ومثال التقرير: إقراره ﷺ لاجتهاد الصحابة فى أمر صلاة العصر فى غزوة بنى قريظة، وإقراره خالد بن الوليد فى أكله الضب] (٢).

*** حجيتها:**

[أجمع المسلمون على أن ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، وكان مقصوداً به التقرير والاقتداء، ونقل إلينا بسند صحيح يفيد القطع أو الظن الراجح بصدقه، يكون حجة على المسلمين ومصدراً تشريعيًا يستنبط منه المجتهدون الأحكام الشرعية لأفعال المكلفين. أى أن: الأحكام الواردة فى هذه السنن تكون مع الأحكام الواردة فى القرآن قانونًا واجب الاتباع] (٣).

*** نسبة السنة إلى القرآن:**

أولاً: من جهة الاحتجاج بها فهى المرتبة الثانية له، بحيث إن المجتهد لا يرجع إلى السنة إلا إذا لم يجد فى القرآن حكم ما أراد معرفة حكمه.

ثانيًا: من جهة ما ورد فيها من الأحكام: فإنها لا تعدو واحداً من ثلاثة:

١ - إما أن تكون سنة مقررة ومؤكدة حكمًا جاء فى القرآن، مثل الأوامر والمنهيات التى دلّت عليها آيات القرآن وأيدتها سنن الرسول ﷺ، ويقام الدليل عليها منهما مثل: النهى عن الشرك، وبر الوالدين، والنهى عن شهادة الزور، وعن قتل النفس بغير حق.

٢ - إما أن تكون مفصلة ومفسرة ما جاء فى القرآن مجملاً، أو مقيدة ما جاء فيه

(١) النهاية فى غريب الحديث والأثر: ٢/٤٠٩.

(٢) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى للسباعى: ٤٧.

(٣) علم أصول الفقه - عبد الوهاب خلاّف.

مطلقًا، أو مخصصة ما جاء فيه عامًا. لأن الله سبحانه وتعالى منح رسوله حق التبيين لنصوص القرآن، يقول فى شأنه: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ [النحل: ٤٤]، ومثل هذه السنن التى فصلت وبينت إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت، لأن القرآن أمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت ولم يفصل عدد ركعات الصلاة، ولا مقادير الزكاة، ولا مناسك الحج، والسنة العملية والقولية هى التى بينت هذا الإجمال. وكذلك أحل الله البيع وحرّم الربا، والسنة هى التى بينت صحيح البيع وفاسده وأنواع الربا المحرم. والله حرّم الميتة، والسنة هى التى بينت المراد منها ما عدا ميتة البحر، وغير ذلك من السنة التى بينت المراد من مجمل القرآن ومطلقه وعامه وتعتبر مكملة له وملحقة به.

٣ – وإما أن تكون مثبتة ومنشئة حكمًا سكت عنه القرآن، فيكون هذا الحكم ثابتًا بالسنة ولا يدل عليه نص فى القرآن، ومن هذا: تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها وتحريم كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطيور، وتحريم لبس الحرير والتختم بالذهب على الرجال، وما جاء فى الحديث: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**» وغير ذلك من الأحكام التى شرعت بالسنة وحدها ومصدرها إلهام الله لرسوله أو اجتهاد الرسول نفسه.

ومن هذا يتبين أنه لا يمكن أن يقع بين أحكام القرآن والسنة تخالف أو تعارض][1].

والمرجع فى تفهم أحكام السنة (حلال – حرام – مندوب – مباح – مكروه) هم رجال الحديث الثقات. كما أشار الإمام البنا فى الأصول العشرين:

«والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم فى تعرّف أحكام الإسلام، ويفهم القرآن طبقًا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويرجع فى فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات»[2].

التقويم

١– المصدر الأول لفهم الإسلام هو .... والمصدر الثانى ....

٢– القرآن هو .... والسنة هى..........

٣– أذكر تعريف السنة موضحًا حجيتها ونسبة السنة إلى القرآن.

(١) علم أصول الفقه: د. عبد الوهاب خلاف.

(٢) الأصل الثانى من الأصول العشرين – رسالة التعاليم – للإمام الشهيد حسن البنا.

● الهدف المرحلى الثانى: أهمية الاستعانة بمن هو أعلم منه فى فهم الإسلام

الأهداف الإجرائية السلوكية:

أ – أن يوضح الدارس مكانة العلماء وفضلهم.

ب – أن يوضح الدارس أهمية العلم والتعلم.

اعلم أنه جرت سنة الله أن يرسل كل رسول بلسان قومه ليتم تخاطبه معهم: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾ [إبراهيم: ٤]، ﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٥١]، فكان الرسول ﷺ هو المعلم الأول لتوضيح مراد الله إلى خلقه يعلمهم ما جهلوا ويسألونه فيفهمهم، ويخطئون فيصحح لهم: «**خذوا عنى مناسككم**». ومن حديث عمار رضى الله عنه قال: «أجنبت فلم أصب الماء فتمعكت فى الصعيد وصليت فذُكر ذلك للنبى ﷺ فقال: **إنما كان يكفيكم هذا**. وضرب النبى ﷺ بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه»[1].

ولما رواه البخارى ومسلم أن عدى بن حاتم قال: لما نزلت: ﴿**حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**﴾ [البقرة: ١٨٧] عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتى فجعلت أنظر فى الليل فلا يستبين لى، فغدوت على رسول الله ﷺ وذكرت له ذلك فقال: «**إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار**».

بل إن النبى ﷺ كان يغضب ويكره أن يفتى الرجل بغير علم دون الرجوع إليه ﷺ، أو لأحد العلماء. فعن جابر رضى الله عنه قال: خرجنا فى سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشجه فى رأسه ثم احتلم، فسأل أصحابه: هل تجدون لى رخصة فى التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبر بذلك فقال: «**قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذا لم يعلموا، فإن شفاء العىّ السؤال إنما**

(١) رواه الشيخان.

كان يكفى أن يتيمم ويعصر أو يصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده»(١).

وقال رسول الله ﷺ : «**أجرأكم على الفتيا أجرأكم على النار**»(٢)، ولمن أراد التعلم أن يتبع إمامًا من أئمة الدين يتلقى عنه ويتعلم منه، وهذا هو الطريق الذى ورثه النبى ﷺ السلف الصالح وهم ورثّوه لتابعيهم، والتابعون لتابعيهم إلى يوم الدين. فكان هذا الطريق سنة من سنن الله لا تتغير وذلك لما يأتى:

أ - مكانة العلماء وفضلهم:

* العلماء ورثة الأنبياء:

العلماء هم الذين ورثوا التبعة تبعة الدعوة والتوضيح والتبيين والتعليم بعد رسول الله ﷺ، يقول رسول الله ﷺ : «**من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين، وإنما العلم بالتعلم، وإن الأنبياء صلوات الله عليهم لم يورثوا ديناراً ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**» رواه البخارى فى باب العلم قبل القول والعمل.

فليكن واسطتك فى الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لمعرفة حكم الله تعالى فى أى قضية هم العلماء كما أمرنا الله تعالى فى كتابه: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: ٤٣] كما أنه قد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك حيث كان العامة يستفتونهم فيجيبونهم على أسئلتهم، ولا ينكر أحد ذلك، ولا يجوز للعامى أن يستفتى إلا من غلب على ظنه أنه من أهل التقوى. وإذا كان فى البلد مجتهدون فله سؤال من شاء منهم ولا يلزمه مراجعة الأعلم لجواز سؤال المفضول مع وجود الأفضل(٣).

* العلماء حفظة هذا الدين:

العلماء فى كل عصر من العصور هم حملة الشريعة المدافعون عنها من إفراط المفرطين وزيغ الزائغين، وباطل المبطلين. وهم المجاهدون للملحدين والكفار. عن ابن عمر رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : «**إن الله عز وجل لا ينتزع العلم انتزاعًا من الناس بعد أن**

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والدارقطنى وصححه ابن السكن.

(٢) حديث مرفوع انفرد به الدارمى عن عبيد الله بن أبى جعفر - سنن الدارمى رقم ١٥٢.

(٣) المنهاج المبين.. شرح الأصول العشرين للشيخ الوشلى (بتصرف).

يؤتيهم إياه ولكن يذهب بذهاب العلماء، فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى إذا لم يبق إلا رؤساء جهّال إن سئلوا أفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»(١). فالعلماء هم الذين أرسوا قواعد الفهم لكل علم ودافعوا عنه: منهم علماء الفقه أمثال أبو حنيفة وأحمد بن حنبل والشافعى الذين أرسوا قواعد الفهم للعبادات والمعاملات. ومنهم ابن تيمية وابن القيم الذين تصدوا للمغالين والمفرطين من فرق الصوفية والباطنية. ومنهم فى العصر الحديث الإمام حسن البنا والشيخ الغزالى والشيخ الشعراوى والقرضاوى الذين بينوا للناس كيف يفهمون الإسلام وتصدوا للموجة المادية الطاغية التى بلبلت الأفكار واضطربت منها العقول.

* احترام العلماء قربة إلى الله تعالى:

احترام العلماء قربة إلى الله تعالى بل هو واجب شرعًا، يقول الإمام الطحاوى: «وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين من أهل الخير والأثر أهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فَهُمْ على غير سبيل المؤمنين».

يقول الشارح: فيجب على كل مسلم بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن خصوصًا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم ويهتدى بهم فى ظلمات البر والبحر. وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم إذ كل أمة قبل مبعث محمد ﷺ كان علماؤها شرارها إلا المسلمين فإن علماءها خيارهم فإنهم خلفاء الرسول من أمته والمحيون لما مات من سنته إلى أن قال: «فلهم الفضل علينا والمنة والسبق وتبليغ ما أرسل به الرسول ﷺ وإيضاح ما كان منه يخفى علينا، فرضى الله عنهم وأرضاهم»(٢).

يقول الشهيد حسن البنا: «ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تبارك وتعالى».

وقال الأحنف رضى الله عنه: «.. وكل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل زواله».

وقال على رضى الله عنه: «العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم فى الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه».

---

(١) متفق عليه - رواه البخارى فى باب العلم حديث رقم ٩٨.

(٢) أصول العقيدة لابن العلى العزى ص ١٩٧، ١٩٨.

*** العلم يؤخذ من أهل التخصص :**

فعلماء الدين هم فوارس الحلقة فى هذا المجال، فإذا جهل أحدنا فرعًا من علوم الدنيا كالطب والهندسة والمحاسبة أو الصناعة والزراعة والنجارة ذهب لعلماء التخصص فى هذا المجال، فَلِمَ لا نذهب لعلماء الشريعة إذا أردنا تعلم هذا الدين، ونترك أنفسنا لأيدى العلماء نبتغى منهم التعلم والفهم قال تعالى : ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النحل : ٤٣]، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا** ﴾ [الفرقان : ٥٩]، وقال تعالى : ﴿ **وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾ [فاطر : ١٤].

والعلماء هم المعنيون فى قوله ﷺ : « **الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس** » قال ابن رجب الحنبلى : « معناه أن الحلال المحض بيّن لا اشتباه فيه وكذلك الحرام المحض، ولكن بين الأمرين أمور تشتبه على كثير من الناس : هل هى من الحرام أم من الحلال، وأما الراسخون فى العلم فلا يشتبه عليهم ذلك ويعلمون من أى القسمين هى »(١).

قال النووى : وأما المشتبهات فمعناها أنها ليست بواضحة الحل ولا الحرمة، فهذه لا يعرفها كثير من الناس ولا يعلمون حكمها، وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك(٢).

إن أخذ العلم من أهله سنة بشرية قائمة فى كل الأمم من لدن آدم حتى يومنا هذا. وهذه قصة فى العصر الفارسى وردت فى كتاب كليلة ودمنة « أن رجلاً طلب علم الفصيح من كلام الناس فأتى صديقًا له من العلماء له علم بالفصاحة فأعلمه حاجته إلى علم الفصيح. فرسم له صديقه فى صحيفة صفراء فصيح الكلام وتصاريفه ووجوهه فانصرف بها إلى منزله فجعل يكثر قراءتها ولا يقف على معانيها ولا يعلم تأويل ما فيها حتى استظهرها كلها فاعتقد أنه قد أحاط بعلم ما فيها. ثم إنه جلس ذات يوم فى محفل من أهل العلم والأدب فأخذ فى محاورتهم فجرت له كلمة أخطأ فيها فقال له بعض الجماعة : إنك قد أخطأت والوجه غير ما تكلمت به. فقال : كيف أخطىء وقد

(١) جامع العلوم والحكم (لابن رجب الحنبلى).

(٢) عون المعبود شرح متن أبى داود (لابن الطيب محمد) جـ ٩ ص ١٧٨.

قرأت الصحيفة الصفراء وهى فى منزلى ؟ فكانت مقالته هذه أوجب للحجة عليه وزاده ذلك قربًا من الجهل وبعدًا من الأدب »(١).

قال أبو حامد الغزالى : « إن الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذى هو أخص صفاته، فهو كالخازن لأنفس خزائنه، ثم هو مأذون له فى الإنفاق منه على كل محتاج إليه، فأى رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه فى تقريبهم إلى الله زلفى وسياقتهم إلى جنة الله المأوى ».

ب - أهمية العلم والتعلم :

*** للحكماء فى أهمية العلم والتعلم أقوال نذكر منها :**

- قال الحكيم لقمان لابنه : « يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله سبحانه يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل السماء ».

- وقال أحدهم : أسس العلم خمسة : المعلم والمتعلم والعلم ووسيلته وأدواته. ومن جمع أسسه فقد جمعه. قال تعالى : ﴿ **اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ [العلق : ٣ - ٥] إن الآية جمعت أسس العلم، فالمعلم هو الله عز وجل، والمتعلم الإنسان، والعلم كل علم يحتاج إليه الإنسان، ولو كانت صناعة الإبرة، ووسيلة العلم القراءة والتلقى، أدواته القلم والكتابة.

- وقال آخر : « من كان أستاذه كتابه كان خطأه أكثر من صوابه ».

- وقال الإمام البنا : « ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر فى أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إمامًا من أئمة الدين ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع فى تعرف أدلته، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صلاح من أرشده وكفايته، وأن يستكمل نقصه العلمى إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر ».

- وقال أبو عثمان النيسابورى : « الصحبة مع الله بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة. والصحبة مع الرسول ﷺ باتباع السنة ولزوم ظاهر العلم. والصحبة مع العلماء بالاحترام والخدمة ».

*** سلبية يجب أن تزول :**

ظهرت طائفة من الناس لا تريد أن تجلس للعلماء تارة بقولهم : هم رجال ونحن

(١) كليلة ودمنة - عبد الله بن المقفع.

رجال. وتارة حين قيل لأحدهم: ألا ترحل حتى تسمع من عبد الرزاق؟ فقال: ما يصنع بالسماع من عبد الرزاق من يسمع من الخلاَّق؟ أراد بذلك التلقى مباشرة من القرآن الكريم. فهذه الكلمات ونحوها جهل وكلام شيطانى فلولا عبد الرزاق وأمثاله من رواة الحديث لما وصل هذا وأمثاله شيء من الإسلام(١).

فالعلماء هم عدول القوم، والله عز وجل استشهد بأهل العلم على أجل مشهود به وهو التوحيد وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة الملائكة: ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [آل عمران: ١٨].

* **فائدة:**

اعلم أخى الحبيب: أن من تعود الوقوف على تواريخ العلماء والمجتهدين وسير الفقهاء الورعين وعباد الله الصالحين تاقت نفسه إلى الاقتداء بهم والتشمير بمثل أفعالهم، فعسى أن يمن الله عليه بالتوفيق فيصل إلى مرتبتهم، كما قال الإمام الجنيد: «الحكايات جند من جنود الله يقوى بها القلوب»، فقيل له: هل لذلك من شاهد؟ قال: نعم قوله تعالى: ﴿ **وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ** ﴾ [هود: ١٢٠]. فاحرص أخى الحبيب على قراءة سير العلماء والفقهاء والمجتهدين وحاول الاقتداء بهم فى صبرهم ومثابرتهم وورعهم.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالرجال فلاح

التقويم

١- وضح أهمية الاستعانة بمن هو أعلم منك فى فهم الإسلام.

٢- وضح مكانة العلماء وفضلهم.

٣- وضح أهمية العلم والتعلم.

٤- إلى أى مدى تستعين فى معرفتك للإسلام من مصادره بأهل العلم والتقوى. ولماذا؟

(١) تهذيب مدارك السالكين (منزلة العلم).

• الهدف المرحلى الثالث: أن يستعين فى معرفته للإسلام من هذه المصادر بأحد ممن يثق فى تقواه وعلمه

الأهداف الإجرائية السلوكية:

أ- أن يوضح الدارس صفات من يجب أن نثق فى تقواهم وعلمهم.

ب- أن يوضح الدارس صفات المتعلم.

جـ- أن يقوِّم الدارس مدى تخلقه بصفات المتعلم.

- الإسلام دين اتباع:

لقد كان رسول الله ﷺ قدوة بشرية عملية وسط المسلمين الأوّل، وكان له الأثر الكبير فى تعرف المسلمين على الإسلام نظريًا وعمليًا، واقتدوا به ﷺ واتبعوه فى كل صغيرة وكبيرة، سواء فى أمور العبادة أو المعاملات أو أعمال اليوم والليلة من طعام وشراب ونوم ولباس وغير ذلك.

ولو أضفنا إلى ذلك حرص الرسول ﷺ على إرشاد المسلمين إلى كل ما فيه خير لهم، ونهيهم عن كل ما فيه ضرر لهم، لعلمنا مقدار ما فاز به المسلمون الأوائل من خير فى اقتدائهم بخير قدوة، وقد توارثت الأجيال هذا الخير بعد جيل صحابة رسول الله ﷺ حتى وصل إلينا لنورثه إن شاء الله من بعدنا.

ولقد فقه صحابة رسول الله ﷺ معنى اقتدائهم وتأسيهم برسول الله ﷺ، فكانوا كلهم آذانًا وأعينًا لمعرفة كل ما يصنعه ﷺ من قول أو فعل أو إقرار، ليتبعوه وليلتزموا به. ثم إنهم حفظوه ورووه لمن بعدهم حتى انتهى إلينا، وكيف لا يأخذ صحابة رسول الله ﷺ عنه وهو الذى قام على التطبيق الأول لهذا الدين بكل جوانبه ومتطلباته، وكان ذلك بتعهد من الله وتوجيهه عن طريق الوحى، فليس أحد من البشر أعلم ولا أفقه بأمور هذا الدين من رسول الله ﷺ، فهو إذن الجدير بالريادة وبالاتباع لمن يرجو الله واليوم الآخر، ولكل من يريد أن يؤدى واجبه نحو الإسلام على الوجه الصحيح من تعلمه

وتعليمه للناس والعمل به »(١).

ولا بد فى معرفتنا للإسلام أن يسعنا ما وسع الصحابة فى معرفتهم لدينهم، فكما لزموا رسول الله علينا أن نلزم من نثق فى دينه وتقواه من الأئمة الأعلام الأتقياء، الذين لم يَخْلُ منهم عصر من العصور، وأن نعيش فى وسط يعيننا على ذلك من الاقتداء بأهل الخير والصلاح، والبعد عن أهل السوء. ومن الآيات القرآنية التى تحثنا على ذلك قال تعالى: **﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾** [الأنعام: ٩٠]، وقال تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾** [الممتحنة: ٦].

كما ينبه القرآن عن البعد عن أهل السوء قال تعالى: **﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾** [الفرقان: ٢٧ – ٢٩].

وقال تعالى: **﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾** [النساء: ١٤٠].

وحديث رسول الله ﷺ حول هذا المعنى عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثوبك وإما أن تأخذ منه ريحًا منتنًا»**(٢).

*** والسؤال الذى نتجه الآن نحوه مع من نعيش فى هذا الزمان لنأخذ منهم معرفتنا للإسلام؟**

كى تتضح لنا المعالم ونسير على هدى! إن هؤلاء لهم صفات تميزهم عن غيرهم، صفات ظاهرة فى السلوك والمظهر، إذا وجدتها فاستمسك بهم، لأنك قلما تجدها فى هذا العصر الذى غلبت فيه المادة على الروح.. وهذه الصفات هى:

(١) كتاب القدوة على طريق الدعوة (بتصرف).

(٢) متفق عليه.

أ – صفات من يجب أن نثق فى تقواه وعلمه:

١ – يؤثر الآخرة على الدنيا:

قال تعالى معرفًا أهل العلم بإيثار الآخرة على الدنيا: **﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ﴾** [القصص: ٧٩، ٨٠].

وعن جابر رضى الله عنه مرفوعًا قال الرسول ﷺ: **«لا تجلسوا عند كل عالم إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس: من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الزهد، ومن الكبر إلى التواضع، ومن العداوة إلى النصيحة»**(١).

وروى أن الحسن البصرى حمل إليه رجل من خراسان كيسًا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز، وقال: يا أبا سعيد: هذه نفقة وهذه كسوة. فقال الحسن: عافاك الله تعالى، ضم إليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك، إنه من جلس مثل مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذا لقى الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له»(٢).

وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من طلب علمًا مما يبتغى به وجه الله تعالى يصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»**(٣).

أرأيت الآخرة عندهم هى الأساس ونظروا لكل ما حولهم من خلالها، فنظروا للمال على أن ثواب الله خير منه وهكذا فى كل أمورهم.

٢ – أن لا يخالف فعله قوله:

من صفاتهم أيضًا أن لا يخالف فعله قوله، بل لا يأمر بالشىء ما لم يكن هو أول عامل به قال تعالى: **﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾** [البقرة: ٤٤]، وقال تعالى: **﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾** [الصف: ٣]، وقال تعالى فى قصة شعيب: **﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾** [هود: ٨٨]، وروى عن معاذ عن رسول الله

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية وابن الجوزى فى الموضوعات.

(٢) إحياء علوم الدين.

(٣) أخرجه أبو داود وابن ماجة بإسناد جيد.

ﷺ قال: «**تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا**»(١).

فالعمل بالعلم برهان الصلاح والتقوى كما يبين الله ورسول الله ﷺ ولذلك كان مخالفة العمل للعلم من صفات النفاق، قال ابن السماك رحمه الله: «كم من مذكر بالله ناسٍ لله، وكم من مخوّف بالله جرىء على الله، وكم من مقرب إلى الله بعيد عن الله، وكم من داع إلى الله فار من الله، وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله».

وقال الحسن البصرى: «تَعلموا ما شئتم فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فإن السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية».

نعم لقد كثر علماء القول فى هذا العصر، وعظوا الناس ولم يتعظوا، ودلوا على الله ولم يعملوا لله. فعليك يا أخى أن تتحرى من تجالسه لتأخذ عنه علمه، وكن عند قول ابن مسعود رضى الله عنه: «ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية».

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم**» فقيل: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال ﷺ: «**يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم، فلا يزال للعلم قائلاً وللعمل مسوفًا حتى يموت وما عمل**»(٢).

٣ - البعد عن الترف:

من صفات علماء الآخرة أن يكون غير مائل إلى الترف فى المطعم والمشرب والتنعم فى الملبس والتجمل فى الأثاث والمسكن، بل يؤثر الاقتصاد فى جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى، ويميل إلى الاكتفاء بالأقل فى جميع ذلك.

والتحقيق فيه أن التزين ليس بحرام، ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يشق تركه، واستدامة الزينة لا تمكن إلا بمباشرة أسباب فى الغالب يلزم مراعاتها ارتكاب المعاصى، من المداهنة ومراعاة الخلق ومراءاتهم وأمور أخرى هى محظورة، والحزم اجتناب ذلك. لأن كثيراً من العلماء لما أسرفوا على أنفسهم فى المطعم والمشرب والزينة تحكم فيهم السلطان فلم يقولوا إلا ما أراد ولم ينهوا إلا عما أراد، فمنعوا السنة وحاربوا الدين فى الشباب المقبل على الله مخافة أن يقطع السلطان أرزاقهم، فركنوا إليه لإسرافهم فى الترف أعاذنا الله وإياك.

---

(١) رواه الدارمى موقوفًا على معاذ بسند صحيح.

(٢) فى الجامع من حديث أنس.

٤ - البعد عن الملوك والرؤساء:

لابد لمن نستعين بهم فى معرفتنا للإسلام أن يكونوا مستقصين بعيدين عن السلطان، فلا يدخلون عليه البتة ما داموا يجدون للفرار عنه سبيلاً، لأن المخالط للملوك لا يخلو عن تكلف فى طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم.

قال حذيفة: إياكم ومواقف الفتن. قيل: وما هى؟ قال: أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ما ليس فيه.

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الحسن: أما بعد فأشر علىّ بأقوام أستعين بهم على أمر الله تعالى، فكتب إليه: أما أهل الدين فلا يريدونك، وأما أهل الدنيا فلا تريدهم، ولكن عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة».

٥ - أن يكون مجاهداً لنفسه مراقبًا لربه:

من صفات عالم الآخرة أن يكون أكثر اهتمامه بعلم القلب، ومعرفة طريق الآخرة، وصدق الرجاء، واكتشاف ذلك بكثرة المجاهدة والمراقبة، فهم مهتمون دائمًا بمراقبة الله وتحقيق رضاه، والجلوس مع الله عز وجل مع حضور القلب بصافى الفكرة والانقطاع إلى الله، فإذا جلست إليه حبب الله إليك ودلّك عليه، وذكرك بالإخلاص له فى كل عمل، وأعانك إذا ذكرت الله وهذه من أهم صفاتهم.

٦ - أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين:

فاليقين رأس مال الدين قال رسول الله ﷺ: «**اليقين الإيمان كله**»(١) فهم مهتمون به لقول رسول الله ﷺ «**تعلموا اليقين**»(٢).

ومعناه جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم اليقين، وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوى يقينهم، وقليل من اليقين خير من كثير العمل، فتراهم يستخرجون من المحنة منحة، ومن البلاء نصراً بيقينهم بالله تعالى.

وفى وصية لقمان لابنه: «يا بنى لا يستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه، ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه» وأنت يا أخى لن تجد ذلك إلا عند من يبتغون الآخرة.

---

(١) أخرجه البيهقى من حديث ابن مسعود بإسناد جيد.

(٢) أخرجه أبو نعيم مرسلاً.

٧ - السكينة والوقار:

ومن صفاتهم السكينة والوقار بأن يكون منكسراً مطرقًا صامتًا، يظهر أثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته، لا ينظرّ إليه ناظر إلا وكان ناظره مذكرًا بالله تعالى، وكانت صورته دليلاً على عمله، وقد قيل: ما ألبس الله عبداً لبسة أحسن من خشوع فى سكينة، فهى لبسة الأنبياء وسيما الصالحين والعلماء.

وأما التهافت على الكلام والتّشدق والاستغراق فى الضحك والحدة فى الحركة والنطق، فكل ذلك من آثار البطر والغفلة عن عظيم عقاب الله وشديد سخطه، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨].

وعندما سئل رسول الله ﷺ عن خير من نجالسهم، قال ﷺ: «**الذين إذا رُؤُوا ذُكِرَ الله**»(١).

فاعلم أن من رأيته ذكرتك رؤيته بالله فالزم صحبته ولا ترض به بديلاً، وتواضع له وكن لين الجانب معه تستخرج ما عنده من العلم.

٨ - ألا يكون مبتدعًا:

من صفات عالم الآخرة أن يكون شديد التوقى من محدثات الأمور وإن اتفق عليها جمهور العامة، فلا يغرنه إطباق الخلق على ما أحدث بعض الصحابة رضى الله عنهم، وليكن حريصًا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثر همهم، أكان فى تولى الأوقاف وأكل مال اليتيم ومخالطة الملوك ومجاملتهم فى العشرة؟ أم كان فى الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة والمراقبة واجتناب دقيق الإثم وجليله، والحرص على إدراك خفايا شهوات النفوس ومكائد الشيطان، إلى غير ذلك من علوم تزكية القلوب. ولذلك قال على رضى الله عنه: «خيرنا أتبعنا لهذا الدين». فاحرص يا أخى على اتباع من يتبع الرسول ﷺ فى كل أحواله من قول وعمل وتقريب، ويبعد عن محدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

فهذه ثمانى علامات من علامات علماء الآخرة، فكن أخى ملازمًا لهؤلاء العلماء وتلك الصحبة الطيبة، التى توافرت فيها هذه الصفات. نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا تغره الدنيا ولا يغره بالله الغرور.

---

(١) فى الزهد لابن المبارك.

ب - من صفات المتعلم:

لا بد للمتعلم من صفات تؤهله أن يعيش بها وسط هؤلاء الخاصة من الخلق منها:

١ - التواضع:

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «تواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم» فالمتعلم لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على معلم، بل يلقى إليه زمام أمره بالكلية فى كل تفصيل، ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق. قال الشعبى: «صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد: خلِّ عنك يا ابن عم رسول الله، فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء، فقبل زيد بن ثابت يده وقال: هكذا أمرنا بأن نفعل بأهل بيت رسول الله ﷺ»(١).

٢ - الرغبة فى الوصول للحق:

لا بد للمتعلم فى ابتغاء العلم ألا يبتغى إلا وجه الله سبحانه وتعالى، قال رسول الله ﷺ: «**من طلب علمًا مما يبتغى به وجه الله تعالى ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»(٣).

قال تعالى: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ [الزمر: ٩].

٣ - توقير من يأخذ عنه:

فلا بد للمتعلم من توقير شيخه، فلا يلح عليه بالسؤال أو يقاطعه فى الحديث، وإذا تحدث الشيخ ألقى السمع إليه ولا يتحول ببصره عنه، وإذا قام شيخه من المجلس فلا يأخذ ثوبه ولا يعارضه، ويكون معه كالريشة فى الريح فلا يشعر شيخه ناحيته بثقل، ولا يحدد له فيما يتحدث، وإذا تحدث الشيخ بحديث قبله ولا يجادله.

---

(١) إحياء علوم الدين الجزء الأول.

(٢) أخرجه أبو داود بإسناد جيد.

٤ – أن يرتبط بالمبادئ لا بالأشخاص:

نعم فطالب العلم مع كل هذا الاحترام والتوقير لأستاذه إلا أن ولاءه لله ورسوله ومبادئ الإسلام لا لشخص العالم، يقول الإمام البنا: «كل شخص يؤخذ من كلامه ويرد إلا المعصوم ﷺ»(١). ويقول عمر بن الخطاب: «زلة العالم يزل بها خلق كثير»(٢) فاستعصم من الزلة بجعل ولائك لله لا للأشخاص.

جـ – أن يقوِّم الدارس مَدى تخلقه بصفات المتعلم:

*** استبانة يقوِّم بها الدارس نفسه لمدى تخلقه بصفات المتعلم:**

م	صفات المتعلم	دائمًا أكثر من ٧٥٪	أحيانًا من ٥٠٪ إلى ٧٥٪	نادرًا أقل من ٥٠٪
١	أتواضع لمن أتعلم منه			
٢	لا أتكبر على العلم			
٣	أذعن لنصيحة المعلم			
٤	أوقر معلمى وأجله			
٥	لا ألح على معلمى بالسؤال			
٦	لا أقاطع معلمى فى الحديث			
٧	ألقى السمع إليه إذا تحدث			
٨	لا أتحول ببصرى عنه			
٩	لا أشعره ناحيتى بثقل			
١٠	لا أجادله			
١١	أبتغى بعلمى وجه الله تعالى			
١٢	أبتغى بعلمى الوصول للحق حيث كان			
١٣	ارتبط بالمبادئ لا بالأشخاص			
١٤	لا أستحى من سؤالى معلمى عما يعن لى			

يستطيع الدارس من خلال هذه الاستبانة أن يحدد مدى توافر صفات المتعلم فيه، فإن وجد خيراً حمد الله عليه وحرص على الاستمرار على ذلك الخير، وإن وجد قصوراً اجتهد فى علاج نفسه مستعيناً بأحد ممن يثق فى تقواهم وعلمهم.

(١) الرسائل – رسالة التعاليم.

(٢) كتاب جامع العلوم والحكم.

التقويم:

١– وضح صفات من يجب أن تثق فى تقواه وعلمه.

٢– هل وجدت من تثق فى علمه وتقواه؟ ولماذا؟

٣– وضح أهم صفات المتعلم.

٤– قوِّم مدى تخلقك بصفات المتعلم.. مبيناً أسباب القصور إن وجدت، وما تنوى عمله لعلاج ذلك القصور.

• الهدف المرحلى الرابع: أن يعمل على الاقتداء بالرسول ﷺ والسلف الصالح فى كل أحواله

الأهداف الإجرائية السلوكية:

أ- أن يوضح الدارس الارتباط بين العلم والعمل.

ب- أن يوضح الدارس كيفية الاقتداء بالرسول ﷺ والسلف الصالح فى كل أحواله.

ج- أن يقوّم الدارس إلى أى مدى يقتدى بالرسول ﷺ والسلف الصالح فى كل أحواله.

أ- الارتباط بين العلم والعمل:

إن الإسلام منهج حياة ومنهج للتنفيذ، ولا تكتمل أركان الإسلام إلا بالعمل، ولا يتحقق الإيمان إلا إذا تم التصديق بالجنان والقول باللسان متبوعًا بالعمل بالجوارح.

وإذا ما اقتصر الأمر على العلم دون العمل والتطبيق كان فتنة ووبالا على صاحبه، وقد حذرنا رسول الله ﷺ من مغبة ذلك وهو يصور تلك الحال التى وصل إليها ذلك الذى يعلم ولا يعمل ويخالف قوله فعله: **«يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: يا فلان ما شأنك ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن الشر وآتيه...»** (١) وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال ﷺ: **«أول من تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة أصناف... منهم: ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القران فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القران. قال: كذبت ولكن تعلمت ليقال هو قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار...»**(٢).

ومقياس الصلاح فى الإنسان التزامه بالإسلام وتطبيقه لمنهج الله عز وجل فى حياته، وليس بما لديه من علم. وإلا لكان كثير من المستشرقين الذين علموا عن الإسلام الكثير

(١) رواه البخارى ومسلم،واللفظ لمسلم عن أسامة بن زيد رضى الله عنه.

(٢) رواه مسلم والنسائى.

والكثير أفضل من أبناء المسلمين الذين لم يتحقق فيهم إلا مستوى ضئيل من العلم بالإسلام.

والطريق إلى رضا الله عز وجل لا يكون إلا بالعمل الصالح وتحقيق العبادة الشاملة لله عز وجل.

• منهج للتلقى:

كان منهج الصحابة هو التلقى للتنفيذ كما قال سيدنا عمر: «كنا عند رسول الله ﷺ تتنزل العشر آيات فلا نقوم من مقامنا إلا ويتسارع كل منا على حفظهن والعلم بهن، فتعلمنا العلم والعمل معًا» وفى رواية «وحتى إذا ذهبنا إلى بيوتنا علمنا أبناءنا وأزواجنا».

وقد كان رسول الله ﷺ يربى أصحابه على ذلك، فحينما سأله السائل: متى الساعة؟ قال له: **ما أعددت لها؟!**.

ب- الاقتداء بالرسول ﷺ والسلف الصالح:

وفى تطبيق الإسلام فإن قدوتنا رسول الله ﷺ والصحابة الكرام وسلفنا الصالح، فرسول الله ﷺ كان تجسيداً حيًا للقرآن، حيث أخبرت عنه السيدة عائشة رضى الله عنها وأرضاها حينما سئلت عن رسول الله ﷺ قالت: «كان خلقه القرآن»، وصحابته ﷺ كانوا فى التزامهم وتطبيقهم للإسلام مثالاً حيا لما تعلموه وتربوا عليه على يد الرسول ﷺ، فصدق فيهم الوصف «كانوا قرآنًا يمشى على الأرض»، وأيضًا السلف الصالح من هذه الأمة الذين توارثوا هذا المنهج فكانوا خير القرون وخير السلف **«خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»**.

وقد أمرنا ربنا جل وعلا أن يكون قدوتنا رسول الله **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾** [الأحزاب: ٢١]، **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ...﴾** [الحشر: ٧]

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١] وقد أوصانا رسول الله ﷺ بالسير على هدى أصحابه أيضًا **«عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى...»**.

حـ- أن يقوِّم الدارس إلى أى مدى يقتدى بالرسول ﷺ والسلف الصالح فى كل أحواله.

أخى الحبيب: يا من تسعى للاقتداء برسول الله ﷺ والسلف الصالح فى كل أحوالك، عليك أن تراجع نفسك على هديه ﷺ وسيرته فى كل مناحى حياتك:

- هل ترجع إلى كتاب الله لتعرف حكم الله فى كل سلوكك وقضاياك (مستعيناً فى ذلك بأحد ممن تثق فى تقواهم وعلمهم)؟ فقد كان خلقه ﷺ القرآن.
- هل تحريت عمل رسول الله ﷺ وقوله فى أعمالك وأقوالك؟
- هل تقتدى برسول الله ﷺ فى عباداتك وأخلاقك؟
- هل تقتدى برسول الله ﷺ فى سلوكك ومعاملاتك؟
- هل قبلت رأى من تثق فى تقواه وعلمه وإن خالف رأيك وهواك؟
- هل تقبل الحق ولو على نفسك؟ ولو كان مراً؟
- هل إذا مر بك موقف تبحث عن الحق فيه؟ أم تبحث عن مخرج لنفسك فقط ولو على حساب الحق؟

بإجابتك عن هذه التساؤلات وأشباهها بصدق تستطيع أن تقوم نفسك فى الاقتداء برسول الله ﷺ والسلف الصالح، وأن تحدد جوانب القصور، وأن تبحث عن العلاج فى هدى رسول الله ﷺ وأن تسأل عن ذلك من تثق فى تقواهم وعلمهم، لعل الله أن يأخذ بيدك إلى الحق ويثبتك عليه.

* من الممكن أن تجرى حلقة نقاشية حول بعض المواقف العملية التى واجهت الفرد والتى تحرى فيها الاقتداء برسول الله ﷺ، أو سأل فيها أحداً ممن يثق فى تقواهم وعلمهم، وماذا تم فى ذلك؟

التقويم

١- وضح كيفية الاقتداء بالرسول ﷺ والسلف الصالح.

٢- «مقياس صلاح الإنسان التزامه بالإسلام وتطبيقه منهج الله فى حياته، وليس بما حصّل من علم فقط دون عمل» وضح ذلك.

٣- قوِّم إلى أى مدى تقتدى بالرسول ﷺ والسلف الصالح.. محدداً نقاط الضع
عندك. موضحاً العوامل التى أدت إلى هذا الخلل وأسباب العلاج.

المصادر:

١- المنهج المبين فى شرح الأصول العشرين — الشيخ الوشلى.
٢- الوجيز فى أصول الفقه — د/ عبد الكريم زيدان
٣- تهذيب مدارج السالكين — الإمام / ابن القيم
٤- جامع العلوم والحكم — ابن رجب الحنبلى
٥- عون المعبود فى شرح متن أبى داود — ابن الطيب محمد
٦- أصول العقيدة — أ/ عبد المنعم صالح العزى
٧- القدوة على طريق الدعوة — أ/ مصطفى مشهور
٨- إحياء علوم الدين – باب العلم — الإمام / الغزالى
٩- الزهد — ابن المبارك

جدول تشغيل الكتاب 1-2

5-Kito

م	القرآن	الحديث/ السيرة	العقيدة/ الهدف العام	الأنشطة المصاحبة و الواجبات العملية
1	سورة الأعلى (1- 13)	الحديث السادس	الركن الثاني الإيمان بالملائكة	زيارة مقابر و التدبر فى الايات
2	سورة الأعلى (14- 19)	اختلاؤه في غار حراء	أن يدرك أن الإنسان لديه استعداد للخير والشر	افطار جماعى + قرأت ኢስላምን ለመረዳት
3	سورة الغاشية (1- 16)	الحديث السابع	أن يوضح أهمية التغيير للأحسن وضرورته	أن يكثر الدارس من الصلاة على النبي يوم الجمعة وليلتها و يقرأ سورة الكهف
4	سورة الغاشية (17- 26)	عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)	أن يدرك صفات النفس وجوانب القصور بها	رحلة خلوية للتدبر فى معانى الايات
5	سورة الفجر (1- 14)	الحديث الثامن	الركن الثالث الإيمان بكتب الله	زيارة مقابر و المريض
6	سورة الفجر (15- 20)	بدء الوحي	الخوف من الله ونهي النفس عن الهوى	قيام ليل وخاطرة من المربي حول الخوف من الله
7	سورة البلد	عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)/2/	محاسبة النفس	يوم رياضي و مسابقة حول شخصية عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)
8	سورة الشمس	الحديث التاسع	ورشة عمل في محاسبة النفس	جلسة المحاسبة للنفس قبل النوم + حفظ أدعية في حالات مختلفة
9	سورة الليل	أبو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه)	التوبة إلى الله	زيارة لبيت أخ + قرأت የቀልብ በሽታዎች
10	سورة الضحى	الحديث العاشر	ذكر الموت	كتابة الوصية + زيارة المستشفي
11	الجهر بالدعوة	الدعوة سرًا	الدعاء	قيام ليل مع خواطر حول الدعاء + قافلة الدعوية
12	مصادر معرفة الإسلام	سلمان الفارسي (رضي الله عنه)	أهمية الاستعانة بمن هو أعلم منه في فهم الإسلام	يوم رياضي و مسابقة حول شخصية أبو عبيدة بن الجراح وسلمان الفارسي (رضي الله عنهما)
13	أن يستعين في معرفة الإسلام من هذه المصادر بمن يثق في عمله وتقواه	أساليب شتى لمجابهة الدعوة	أن يعمل على الاقتداء بالرسول (ﷺ) والسلف الصالح	رحلة خلوية ونقاش حول آداب المتعلم

ملاحظات:

1. منهج الفقه خلال الجزء الأول من الصلاة حتى صلاة الجماعة.
2. حفظ القرآن مع مرأت الأحكام التجويد
3. يسمع الحديث في نهاية اللقاء ويتم مراجعة حفظ كل خمسة أحاديث.
4. النشاط المصاحب جزء أساسي من الجدول

سلوكيات مطلوبة:

1. أن يلتزم الدارس بورد محاسبه يحدده لنفسه.
2. تقديم نصيحة
3. أن يكثر الدارس من الصلاة على النبي يوم الجمعة وليلتها
4. أن يبدأ الدارس في حفظ أذكار الصباح والمساء ويرددها في أوقاتها وكذلك المأثور من أدعية الأوقات (دخول الخلاء+ النوم+ . . . . إلخ)

هذا الكتاب

إن التربيـــة الإســـلامية هى التربـــية التى ترعرعت فى ظلالها خير أمة أُخرجت للناس ، وقد غُيبّت هذه التربية فى القرون الأخيرة عن الساحة فى البلاد العربية والإسلامية لأسباب عديدة منها : مكر أعداء الإســلام ، وجهل أبــناء هذا الدين وانبهارهم بالفكر الغربى .

وقد أدرك بعض العلماء فى البلاد الإسلامية حــجم المؤامرة فشــرعوا فى تأليف الكتب النافعة بهدف تأصيل الفكر التربوى فى بلادنا وإبعاده عن ذيل التبعية للفكر الغربى ومن هؤلاء المهتمين بذلك الأستاذ الفاضل / على لبن الخبير التربوى فقد قدم لنا هذا الكتاب للتعريف بالتربية الإسلامية وخصائصها وأهم الطرق التربوية المستمدة من الكتاب والسنة .

كما يهدف الكتاب إلى التعريف بأهم الإجراءات التدريسية التى ينبغى اتباعها عند تدريس القرآن والحديث والسيرة والعقيدة والفقه .

كما يهدف الكتاب أيضا إلى تنمية القدرة على اشتقاق أهداف محددة لدرس معين .

وقد ذيل كل فصل بأسئلة للتقويم وأنشطة تربوية لاكتساب خبرات جديدة .

والله الموفق والهادى إلى صراطه المستقيم ،،،

الناشر

دار التــــوزيع والنشــر الإســلامـيــة
٢٥١ ش بورسعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ فاكس: ٣٩٣١٤٧٥
email:info@eldaawa.com www.eldaawa.com